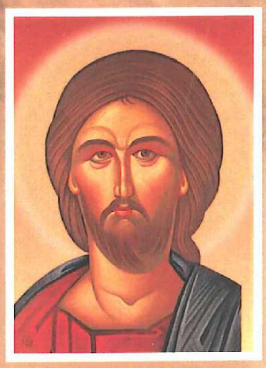

ضد الذين يتصورون أن لله هيئة بشرية

ΚΑΤΑ ΑΝΘΡΩΠΟΜΟΡΦΙΤΩΝ

للقديس كيرلس الأسكندري

دكتور/ جورج عوض إبراهيم

ضد الذين يتصوّرون أن لله هيئةً بشريةً

KATA ΑΝΘΡΩΠΟΜΟΡΦΙΤΩΝ

للقديس كيرلس الأسكندري

ترجمة عن اليونانية
وتقديم وتعليقات

دكتور جورج عوض إبراهيم

اسم الكتاب : ضد الذين يتصوّرون أن لله هيئةً بشريةً

اسم المؤلف : القديس كيرلس الأسكندري

اسم المترجم : د. جورج عوض إبراهيم

georgeibrahim2257@yahoo.com

الطبعة الأولى مايو ٢٠١٣

اسم المطبعة : جي سي سنتر، ١٤ ش محمود حافظ - سفير - مصر الجديدة - ت : ٢٦٣٣٨١٣٧

رقم الإيداع : ٢٠١٣/٩١٦٦

قداسة البابا تاوضروس الثاني

بابا الأسكندرية وبطريرك الكرازة المرقسية

فهرس المحتويات

مقدمة ٩

الفصل الأول

حين يذكر الكتاب المقدس أن لله أيدي، ... هو غير جسدي ٤٩

الفصل الثاني

إلى أولئك الذين يقولون إن النفس خُلِقت من ...غريبةٌ عنه ٥١

الفصل الثالث

بأي مفهومٍ خُلِق الإنسانُ بحسب صورة الله؟ ٥٥

الفصل الرابع

إلى الذين يتساءلون: "هل خُلِقت الملائكة بحسب صورة الله؟" ٥٨

الفصل الخامس

إلى أولئك الذين ينادون بأننا نقبل مباشرةً... الحياة الطوباوية ٥٩

الفصل السادس

إلى أولئك الذين يقولون إننا لسنا صورة الله... صورة الصورة ٦٢

الفصل السابع

إلى أولئك الذين يقولون إن النفس المزوّدة بالعقل، ... ثانيةً إلى الحياة..... ٦٥

الفصل الثامن

- لماذا يموت المشاركين لآدم في طبيعته، مؤدّين عقاباً عن آبائهم؟ ٦٧

الفصل التاسع

الكتاب المقدس أظهر لنا صورةً للقيامة العامة الآتية ...قيامةٌ لجمعٍ عظيم .. ٧٠

الفصل العاشر

إلى أولئك الذين يبحثون إن كان المسيح قد... بحسب صورة الله. ٧٢

الفصل الحادي عشر

لدينا القدرة أن نوقف الشهوات الجسدية، ... تماماً من جذورها..... ٧٤

الفصل الثاني عشر

الإفخارستيا يجب أن تُتمم فقط في الكنائس الجامعة. ٧٦

الفصل الثالث عشر

إن إله الكل يمكنه أن يلغي كل ما تحقق من أمور ... (لو ١٨: ٢٧). ... ٧٨

الفصل الرابع عشر

إلى أولئك الذين يقولون إن الابن كان يجهل اليوم الأخير ... مع الجهلاء .. ٨٠

الفصل الخامس عشر

كيف يجب أن نفهم آية: "الكلمة صار جسداً" (يو ١: ١٤). ٨٤

الفصل السادس عشر

إلى أولئك الذين يقولون إن كل مَنْ اُختير ...حدثاً عملياً وحقيقياً..... ٨٥

الفصل السابع عشر

إلى أولئك الذين يقولون: إن الشياطين ... اتصلوا أو اختلطوا بالنساء؟ .. ٨٧

الإصحاح الثامن عشر

إلى أولئك الذين يقولون إن الابن بكونه الله... له مشترك مع الآب. ٨٩

الفصل التاسع عشر

إلى أولئك الذين يقولون إنه عندما صار الابن ...خاليةً من ألوهيته. ٩٤

الفصل العشرون

إلى الذين يقولون إن **الكلمة** يعمل المعجزات، ... أي اختلاط معه..... ٩٧

الفصل الواحد والعشرون

إلى الذين يقولون إنه لم يصعد بالجسد الذي اتحد به. ٩٩

الفصل الثاني والعشرون

الله **الكلمة** بجسده الخاص يصنع عجائب إلهية حقاً. ١٠١

الفصل الثالث والعشرون

إلى أولئك الذين يقولون، كان وارداً أن يخطئ... مشابهاً لجسد آدم. ١٠٣

الفصل الرابع والعشرون

لماذا لم يظهر الرب من البداية، ... أظهر ألوهيته في الحياة البشرية؟ ١٠٥

الفصل الخامس والعشرون

مَنْ تكون تلك الرأس المسحوقة؟ ١٠٨

الفصل السادس والعشرون

إعتاد البشر أن يُسمي العذراء بـــ (غير الفاسدة) ١٠٩

الفصل السابع والعشرون

زكريا الذي قُتِل بين الهيكل والمذبح،... شاهداً على عذراوية الأم. ١١٠

الفصل الثامن والعشرون

لماذا مَجَّدَ الملائكة الألوهية التي رأوها في السموات، قائلين... ..... ١١٢

فهرس لبعض الكلمات الواردة بالنص ١١٣

فهرس لبعض الآيات الواردة بالنص ١١٦

مقدمة

نشر العالم *J. P. Migme* هذا العمل سنة ١٨٥٩[١]. وكان مصدره هو النص الذي كان قد أصدره *Vulcanio tov Bonaventura*[٢]، المُصاحَب بتعليقات معزّزة بأفكار هذا العمل اللاهوتية. كما تستند هذه التعليقات أيضاً على نصوص شذرات لإيسيذوروس الفرمي ويوحنا زوناراس[٣].

وفي سنة ١٨٧٢م استخدم *P.E. Pusey* مخطوط:

Laurentianus Mediceus Plut. VI 17.

للقرن الحادي عشر، وكذلك مخطوطتين:

Reg., Paris. 115 fol. 117-121

St. Marc. Venet. 122.

للقرن السادس عشر[٤]، ناشراً ثلاث رسائل لكيرلس كُتبت أثناء الصراع النسطوري[٥].

إذن النصوص هي:

(أ) الرسالة إلى أسقف أرسينوي كالوسيريون[٦]:

Επιστολή πρός τόν επίσκοπον Ἀρσινόης Καλοσίριον

1- PG76, 106 SA – 1132B.

2- S. F. W. Hoffmann, Bibliographisches Lexicon der gesammten Literatur der Griechen, Teil IAD, Amsterdam 1961, P. 485. PG76, 1065

٣- أنظر المرجع السابق.

4- Pusey, P.E., S.P.N. Cyrilli Arciepiskopi Alexandrini opera, Oxonii, 1869-1877. 3, P. 547.

أنظر أيضاً لمزيد من المعلومات عن مخطوطات أعمال القديس كيرلس:
P. Penaudin, La theologie de Saint Cyrille, Tongerloo 1937, P. 67.

5- R. Y. Ebied – L.R. Wickham, the Letter of Cyril of Alexandria to Tiberius the Deacon. Syriac Version, Museon 83 (1970), P. 434.

٦- رسالة القديس كيرلس رقم ٨٣: Pusey 3, 603-607 PG77, 375 B

(ب) رسالة إلى الشماس تيفيريون[1]:

Επιστολή πρός Τιβέριον δίακονον

(ج) رسالة عن حلول عقيدية[2]:

Επιστολή περί δογμάτων ἐπιλύσεων

يرى بوزي *P. E. Pusey* أن هذا العمل "ضد الذين يتصورون أن لله هيئة بشرية" ليس عملاً واحداً، بل هو عمل مكون من ثلاثة رسائل للقديس كيرلس[3] جُمِعوا معاً متأخراً في عمل واحد، مع جزء من عظة القديس غريغوريوس النيصي عن ميلاد المسيح[4] Εἰς την Γέννησιν τοῦ Χριστοῦ.

وقد حُفِظَت الرسالة إلى الشماس تيفيريون أيضاً في الترجمة السريانية، ونشرها كل من *R.Y. Ebied* و *L.R. Wickhan* باللغة الإنجليزية[5]. مصدر هذا الإصدار هو مخطوط MS B. M. Add. 14،531 للقرن السابع أو الثامن[6].

أمَّا الأسئلة الخمسة عشر الأولى للرسالة، فقد حُفظت مع الإجابة عليهم في اللغة السريانية. وقد تم إصدار الرسالة أولاً بواسطة بوزي P. E. Pusey و L.R. Wickha[7].

الإصدار الثاني تم في سنة ١٩٧٠ وهو يفوق الإصدار الأول من حيث ما تم فيه من تصحيح الأخطاء المطبعية، وقدم في نفس الوقت ترجمة النص باللغة الإنجليزية، الأمر الذي لم يحدث في الإصدار الأول[8].

1- Pusey 3, 567-602.

2- Pusey 3, 549-566.

3- Pusey 3, p. 545.

4- PG46, 1129-1137.

5- The Letter of Cyril of Alexandria to Tiberius the Deacon. Syriac Version, Museon 83 (1970), 433-482.

٦- المرجع السابق ص٤٣٣، وأيضاً أنظر:
W. Wright, Catalogue of the scriac Manuscripts in the British Museum 2, London 1871, PP. 738-740, no 769.

7- Pusey 3, PP. 573-576.

٨- أنظر المرجع السابق، ص٤٣٤.

اتبع البحث المعاصر رأي بوزي *P. E. Pusey* بأن رسائل كيرلس جُمِعوا متأخراً مع جزء من عظة غريغوريوس النيصي عن ميلاد المسيح. هكذا انتهى إلى نتيجة مفادها أن الجزء الأخير من عمل كيرلس "ضد الذين يتصورون أن لله هيئة بشرية" هو جزء لا ينتمي للقديس كيرلس[1]. وعلى هذا يتكون عمل كيرلس من النصوص الآتية:

(١) مقدمة هذا العمل هو الرسالة إلى أسقف أرسنوي كالوسيريون[2].

(٢) الرسالة إلى تيفيريون الشماس ثم الرسالة عن حلول عقيدية[3] وهذا الجزء يغطي ثلاثة وعشرون فصلاً من هذا العمل.

(٣) عظة القديس غريغوريوس النيصي تغطي خمسة فصول[4].

وهذا الجدول الآتي يلخص ما قُلناه:

1- Π. Χρήστου Ἑλληνική πατρολογία 4, Θεσλνική 1989, σ. 350. J. Quasten, Patrology 3, P. 277. Σ. Παπαδοπούλου, Πατρολογία 2, Αθήνα 1990, σ. 624.

2- PG76, 1065A-1077B.

3- PG76, 1077B- 1120D.

4- PG76, 1121A- 1132A.

حلول عقيدية

ΠΕΡΙ ΔΟΓΜΤΩΝ ΕΠΙΛΥΣΕΩΝ

P. E. Pusey Νὲα Ἔχδοση		J. P. Migne Παλαιά Ἔχδοση
1.	↔	1.
2.		2.
3.		5.
4.		6.
5.		7.
6.		8.
7.		9.
8.		16.
9.		13.

ΠΡΟΣ ΤΙΒΕΡΙΟΝ ΔΙΑΚΟΝΟΝ

إلى الشماس تيفيريون

1.	(غائب)λεί πει
2.	18.
3.	19.
4.	14.
5.	20.
6.	21.
7.	15.
8.	10.
9.	22.
10.	3.
11.	12.
12.	11.
13.	23.
14.	4.
15.	17.

ضد الذين يتصورون أن الله له هيئة بشرية

ΚΑΤΑ ΑΝΘΡΩΠΟΜΟΡΦΙΡΩΝ

رسالة إلى الأسقف أرسنوي كالوسيريون

Επιστολή πρός τόν επίσκοπον Ἀρσινόης Καλοσίριον

J. P. Migne Παλαιά Ἔχδοση		P. E. Pusey Νὲα Ἔχδοση
1.	↔	[1] 1. Π. Δ. Ε.
2.		2. Π. Δ. Ε.
3.		[2] 10. Π.Τ.Δ.
4.		14. Π.Τ.Δ.
5.		3. Π. Δ. Ε.
6.		4. Π. Δ. Ε.
7.		5. Π. Δ. Ε.
8.		6. Π. Δ. Ε.
9.		7. Π. Δ. Ε.
10.		8. Π. Τ. Δ.
11.		12. Π. Τ. Δ.
12.		11. Π. Τ. Δ.
13.		9. Π. Τ. Δ.
14.		4. Π. Τ. Δ.
15.		7. Π. Τ. Δ.
16.		8. Π. Δ. Ε.
17.		15. Π. Τ. Δ.
18.		2. Π. Τ. Δ.
19.		3. Π. Τ. Δ.
20.		5. Π. Τ. Δ.
21.		6. Π. Τ. Δ.
22.		9. Π. Τ. Δ.
23.		13. Π. Τ. Δ.

غريغوريوس النيصي

24.
25.
26. Γρηορίου Νύσσης
ميلاد المسيح
27. Είς τῆν Γὲννησιν τοῦ χριστοῦ
28.

1- Π. Δ. Ε. = Περί δογμάτων ἐπιλύσεων: حلول عقيدية
2- Π. Τ. Δ. = Πρός Τιβὲριον διάκονον: إلى الشماس تيفيريون

هناك ملاحظتان على الخمسة الفصول الأخيرة من عمل كيرلس:

(أ) هذه الفصول بدون أدنى شك تأتي من عظة القديس غريغوريوس النيصي: عن ميلاد المسيح Εἰς την Γέννησιν τοῦ Χριστοῦ

(ب) هذه العظة كان يحفظها القديس كيرلس عن ظهر قلب، وسبق له أن استخدمها في شرحه لإنجيل لوقا[1].

البرهان الواضح على هذا الأمر يظهر في المقارنة بين ما ورد في شرح القديس كيرلس لإنجيل لوقا، وما ورد في عظة القديس غريغوريوس النيصي، وكذلك ما ورد في عمل القديس كيرلس «ضد الذين يتصورون أن لله هيئة بشرية»، وذلك على الوجه الآتي:

شرح إنجيل لوقا للقديس كيرلس 717C-721A, PG72	**عظة القديس غريغوريوس النيصي عن ميلاد المسيح** 1132B-1137C, PG46
نقصد بزكريا هنا -وفق هذه الأقوال- أب السابق، الذي -وفق التقليد الشفاهي- قتله اليهود بين الهيكل والمذبح؛ لأنه تنبأ عن والدة الاله، وأيضاً الإله مخلصنا يسوع المسيح الذي سوف يُولَد منها كملك ورب ... إلى الأمم. وعن العذراء القديسة ذاتها التي حملت بواسطة الروح القدس قال إنها سوف لا تبتعد عن مكان العذارى اللاتي كُنّ موجودات فيه في المقدس بين الهيكل والمذبح، بالرغم من أنها كانت مخطوبة،	فقد انفك آنذاك صمت زكريا بواسطة الإلهام النبوي عندما وُلِد السابق **للكلمة**. وكل ما قاله زكريا شكّل نبوءةً عن المستقبل. إذن، فذاك الذي قاده الروح النبوي لمعرفة الأمور المخفية، قد فهم سر البتولية في الميلاد الذي بلا فساد، لم يعزل الأم البتول وهي داخل الهيكل، من المكان المُعد سابقاً للعذارى من قِبَل الناموس، ... ولهذا لم يفرزها أو يعزلها داخل الهيكل من مكان سكنى العذارى. وهذا المكان، كان هو الموضع

1- PG 72, 476-950.

لكنه اعتبرها عذراء وسمح لها أن تبقى في المكان المعتاد. لأجل هذا، أولئك اليهود حين سمعوا هذه الأقوال، استولى عليهم الغضب، فسلَّحوا أيديهم وهم خائفون من المنتظَر، من سيادة الملك الذي اعتقدوا أنه سوف يضطهدهم، وقتلوا هذا الذي كرز بالأقوال الخاصة بولادة الرب، قتلوا الكاهن بالقرب مِن المذبح. بين الهيكل والمذبح. إذاً لأنهم سمعوا (أي اليهود) أن ملك الكون سيولد كإنسان بحسب التدبير، قتلوا ذاك الذي أعطى الشهادة (أي زكريا) لهذا الميلاد، الكاهن الذي كهن بالقرب من نفس المذبح (مت ٢٣: ٢٥)، بسبب الخوف من أن يصيروا عبيداً للملك فسلَّحوا أيديهم وهم خائفون من المنتظَر، من سيادة الملك[١].

القديس كيرلس «ضد الذين يتصورون أن لله هيئة بشرية»

1121A-1132B, PG76

لكي يختلط بالحياة البشرية حتى يطهِّرها من الشر، كان من الضروري الانتظار حتى تنبت كل جذور الشر بفعل العدو، وهكذا نجح، كما يقول الإنجيلي في اقتلاع الشر من جذره.

لأجل هذا، لم يجلب الشفاء بحضوره في زمن نوح حيث فسد كل إنسان من الظلم؛ لأن زرع سدوم الشرير لم يكن قد نَبت.

ولم يظهر الرب أيضاً في زمن دمار سدوم وعمورة؛ لأن كثيراً من

عظة القديس غريغوريوس النيصي عن ميلاد المسيح

1132B-1137C, PG46

وأيضاً لم تكن هذه اللحظة وأقصد زمن شرور المصريين هى اللحظة المناسبة لإصلاح كل شئ، أي أن يتحد **الكلمة** بحياتنا، بل كان لابد أن تظهر شرور الإسرائيليين. وأيضاً كان يجب أن تستعلن وتظهر إلى الوجود مملكة الأشوريين، وتباهى نبوخذ نصر الذي كان يشتعل خفية. كان ينبغى أن يسقط ـــ مثل شئ خبيث ـــ ذلك الخداع المؤدى لقتل الأبرار، وأن تسقط كل أشواك النبات، من جذرها

١- غريغوريوس النيصي، ميلاد المسيح، ترجمة د. سعيد حكيم، ومراجعة د. نصحي عبد الشهيد، إصدار المركز الأرثوذكسي للدراسات الآبائية، يناير ٢٠٠٥، ص ٢٠ - ٢١.

بقايا شر الطبيعة البشرية ظلَّ بعدُ مستتراً. أين هو إذن فرعون محارب الله؟ أين شر المصريين الجامح؟ فحتى ولا في هذا الزمن (أقصد زمن المتاعب من المصريين)، كانت هناك فرصة لتقويم كل شيء؛ حتى يختلط بالمعيشة البشرية، لكن كان يجب أن يُعلَن أيضاً عصيان الإسرائيليين. كان يجب أن تظهر للحياة أيضاً مملكة الأشوريين. ونبوخذنصر لم يكن قد ظهر بعد، كان يجب أن ينبت قاتل القديسين. لقد نبت الشوك كله من جذر الشيطان الشرير، كان يجب أن يظهر عداء اليهود ضد قديسي الله، اليهود الذين قتلوا الأنبياء ورجموا رُسله، وفي النهاية قتلوا زكريا بين الهيكل والمذبح. أضف أيضاً إلى القائمة، التجاديف الشريرة وقتل الأطفال بواسطة هيرودس.

إذن، فعندما نبتت كل قوة الشر من الجذر الشرير، تلك التي نبتت بطرق كثيرة في داخل أفراد كل جيل، وتقبَّح الشرُّ بلا ضابط، عندئذ، كما قال بولس لأهل أثينا: «فَإِذْ نَحْنُ ذُرِّيَّةُ اللهِ، لاَ يَنْبَغِي أَنْ نَظُنَّ أَنَّ اللاَّهُوتَ شَبِيهٌ بِذَهَبٍ أَوْ فِضَّةٍ أَوْ حَجَرٍ نَقْشِ صِنَاعَةِ وَاخْتِرَاعِ إِنْسَانٍ. فَاللهُ الآنَ يَأْمُرُ

الشيطاني. كان ينبغي أن يشتد نباح اليهود ضد قديسي الله، هؤلاء الذين قتلوا الأنبياء، ورجموا المرسلين، وأخيراً ارتكبوا جريمة حمقاء حيث قتلوا زكريا بين الهيكل والمذبح (مت ٢٣: ٣٥). ثم تُضاف إلى هذه القائمة، الجرائم والقتل الذي ارتكبه هيرودس ضد أطفال بيت لحم. إذاً فبعد أن استعلنت كل قوة الشر بكل جذرها الخبيث وازدادت الوقاحة في رغبات الغنوسيين الشريرة والمتنوعة والممتدة في كل جيل، عندئذ، كما يقول الرسول بولس لأهل أثينا، تغاضى الله عن أزمنة الجهل، وأتى في أواخر الأيام (أع ١٧: ٣٠)، عندما لم يكن هناك أحد لديه معرفة، أو لديه رغبة البحث عن الله. فعندما فسد الجميع ورجسوا (مز ١٤: ٢)، عندما انتشر الشر في كل مكان (رو ٣: ٣) وكثر الظلم، عندما بلغت ظلمة الخطية أقصى حد لها، عندئذ استعلنت النعمة. وهنا أشرقت أشعة النور الحقيقي علينا، وأشرق شمس البر على الجالسين في الظلام وفي ظلال الموت (أش ٩: ٢)، وقتها قصف رؤوس كثيرة للتنين، مُسقطاً إياه بقدمه، وسحقه وطرحه أرضاً. ولا ينبغي لأحد وهو ينظر إلى

جَمِيعَ النَّاسِ فِي كُلِّ مَكَانٍ أَنْ يَتُوبُوا، مُتَغَاضِياً عَنْ أَزْمِنَةِ الْجَهْلِ» (أع ١٧: ٢٩ - ٣٠)، أتى في أواخر الأيام، عندما لم يكن هناك عاقلٌ، عندما لم يكن هناك ذاك الذي يطلب الله، عندما صارت الخطية مثل الطوفان، عندما وصل سيف الشر إلى الدرجة العظمى، عندئذٍ أشرق شمس البر على أولئك الذين كانوا يعيشون في الظلمة وظلال الموت، عندئذٍ سحق رؤوسَ كثيرةٍ للتنين ضارباً ودائساً على كل ما على الأرض من شر. ولا يظن أحدٌ أنه يمكنه أن يكذّب ما نقول به بالنظر إلى كل ما يحدث الآن في الحياة، فما نقوله هو إن الرب أشرق في الحياة في الأزمنة الأخيرة.

وقد يقول أحد المعارضين إن هذا الذي انتظر أزمنةً طويلةً حتى يظهر الشر، فيُطفئه في قمته، كان طبيعياً بالنسبة له أن يكون قد أخفاه من الجذر للدرجة التي لا يبقى معها أية بقية للشر في الحياة، لكن الآن، ها هم القتلة والسارقون والزناه يشرعون في فعل كل الأمور القبيحة.

ليت صاحب هذه الحجة يبدد شكَّه هذا بمثالٍ معروف. فنحن نرى -عند الشرور الحالية، أن يعتقد أن الكلام الذي يقول، إن الرب في أواخر الأزمنة أشرق كالشمس في حياتنا، هو كلام كاذب.

بماذا نفسر عمل الشيطان بعد مجيء الرب؟

ربما سيقول المعترض على هذا الكلام، إن ذاك الذي انتظر طوال هذه الفترة حتى يُستعلن الشر ويزداد، ثم ينتزعه من جذوره، من الطبيعي له أن يقضي عليه كليةً، وألا يبقى له أي بقية في حياتنا. إلاّ أنه لا يزال القتل يُرتكب بجرأة وأيضاً السرقة والزنا بل وأسوأ الجرائم.

غير أن شكوك مَن يقول هذا الكلام يمكن أن تتبدد بمثال من الأمثلة المعروفة. فمثلاً عندما نقتل ثعباناً، فإننا نرى أنه لا يموت كليةً عندما يموت رأسه، فبينما يموت الرأس، يظل باقي الجسد حياً ويعلن عن غضبه، دون أن تنقصه القوة، هكذا صنع ذاك الذي قتل التنين. فإن الله سحق رأس التنين عندما نمى الوحش وتضخم في كل الأجيال، بمعنى أنه سحق القوة المبطلة

قتل الزواحف- أنهم لا يضربون الجسد مع الرأس، بل بينما يكون الرأس قد مات، يحتفظ الحيوان بتماسكه الداخلي في نفسه ولا يفقد حيويته. هكذا أيضاً هذا الذي قتل التنين، عندما كبر الوحش في كل أجيال البشر ضربه على الرأس، أي على قوة ابتداع الشرور التي لديها رؤوسٌ كثيرة، أمّا بالنسبة للجسد، فلم يعطه أهمية كبيرة، جاعلاً حركة موت الوحش تبقى دافعاً للتمرن بالنسبة للآتين بعد ذلك.

للصلاح والتي لها رؤوس كثيرة، ولكنه لم يتكلم بعد عن باقي الجسد، وسمح أن تبقى الحركة في الوحش الميت، كدافع للأجيال القادمة لممارسة الفضيلة.

مَنْ تكون تلك الرأس المسحوقة؟

إنه ذاك (الرأس) الذي -بالمشورة الشريرة- أحضر الموت، ذاك الذي وضع -بالقول- في نفس الإنسان سُمَّاً مميتاً. وهذا هو الذي حلّ قوة الموت، وسحق قوة رأس التنين (مز ٧٤: ١٤) كما يقول النبي.

أصبح التنين ميّتاً من جهة القوة؛ لأن رأسه كان قد فسد بالفعل، إلّا أن بقية جسد الحية الذي انتشر في الحياة البشرية طوال الوقت الذي عاش فيه البشر في أعمال الشر، كان هو الذي يصنع بأوراق الخطية اضطراباً للمعيشة. لكن عندما يمر الوقت، ويتوقف كل ما

فما هي الرأس التي سحقت؟

هو هذا الذي أحضر الموت إلى البشر، بواسطة مشورته الشريرة، والذي بلدغته، قطّر في الإنسان سمه المميت.

إذاً فالرب قد نقض سلطان الموت، وسحق قوة رأس الحية، كما يقول النبي، أما باقي جسد الوحش فلا يزال منثوراً داخل حياة الإنسان ويجعل حياتنا باستمرار مُجمدة، ببثور الخطية، على قدر ما يتواجد الإنسان داخل مجالات الشر. إن قوته بالطبع هى بعد ميتة، بعد أن صار الرأس بلا نفع. ولكن عندما يعبر أو يمر الزمن وتتوقف

يتحرّك عند نهاية الحياة التي ننتظرها بشوق، عندئذٍ يبطُل الذيل وتجيء نهاية العدو (هذا هو موته)، وهكذا يصير فناء كل الوحش، أي الشر، عندئذٍ يُستدعى الكل إلى الحياة بالقيامة، والأبرار -مباشرةً- ينتقلون إلى الحياة السماوية، أمَّا الخطاة المذنبون، فيُسلَّمون إلى نار الجحيم.

عادة البشر أن تسمي غير المتزوج بـــ (غير الدنس).

عندما أحاطت النار بالعليقة، والعليقة لم تحترق، قال موسى العظيم: «أميل الآن لأنظر هذا المنظر العظيم» (خر ٣: ٣). وبانتقاله أو ميله هناك، لم يعلِن -على ما أعتقد- عن حركةٍ في المكان، بل عن مرور وانتقال الوقت. لأن ذاك الذي -كمثال- أُعطيَ وقتذاك بشعلة النار والعليقة، أُعلِنَ بوضوح في سر العذراء عندما اكتمل الزمن. فمثلما كانت هناك الشجرة والنار داخلها ولم تحترق، هكذا العذراء أيضاً هنا، وَلَدَت النور وظلت عذراء.

وإذا كانت العليقة تصوِّر -مسبقاً- جسد العذراء الذي وَلَدَ الله، فلا ترتبك أنت أمام هذا الرمز؛ لأن كل جسد، الأجزاء المتحركة عن الحركة عند نهاية هذه الحياة، عندئذٍ يبطل وينتهى الذيل وآخر جزء للعدو، وهذا هو الموت.

العليقة والعذراء:

هذا هو ما يبدو لى، قد فهمه أولاً موسى العظيم، بالظهور الإلهى الذي حدث له في العليقة المشتعلة عندما اشتعلت فيها النار ولم تحترق. لأنه قال: «أميل الآن لأنظر هذا المنظر العظيم» (خر ٣: ٣، مت ١٣: ٢٢). أعتقد أنه لا يُعلن بكلمة «أميل» عن حركة مكانية، بل يعنى بها عبور الزمن. بمعنى أن هذا الذي أُستعلن آنذاك في هذه المعجزة من خلال النار والعليقة، بعدما عبر الزمن المتوسط، ظهر هذا السر بوضوح في العذراء. فكما أن العليقة كانت مشتعلة آنذاك إلاّ أنها لم تحترق، هكذا هنا أيضاً العذراء تلد النور، لكنها لا تُصاب بأى ضرر.

الآن إن كانت العليقة هى انعكاس

بسبب قبوله للخطية، ولأجل هذا، ليس فقط جسد، وإنما خطية أيضاً. والخطية تُسمَّى في الكتاب شوكاً (عليقة).

لجسد العذراء، فلا تخجل أو تستحى لأجل هذا اللغز. لأن كل جسد يتقبل الخطية، هو خطية بالضبط من حيث أنه هو جسد فقط (٢ مل ٢٣: ٦)، إذ الخطية في الكتاب تأخذ اسم الشوكة.

زكريا الذي قُتِل بين الهيكل والمذبح، لم يُقدَّم على أن نأخذه شاهداً على عذراوية الأم

زكريا هذا كان كاهناً، وكانت لديه موهبة النبوة، وقد كُرِزَ بنبوته هذه بقوة في الإنجيل. فلكي لا يعتبر البشر أن ولادة العذراء غير قابلة للتصديق، أعدت النعمة الإلهية -مسبقاً- طريقاً، درَّب بالمعجزات، إدراك المؤمنين؛ إذ وُلِدَ طفلٌ من عاقرٍ ومتقدِّمة في السن.

هذا صار مقدمةً للسر المتعلق بالعذراء. أي، كما أن أليصابات لم تَصِر أُمّاً بقوة الطبيعة، لأنها كانت قد شاخت وظلت عاقراً طوال حياتها، بل نُسب حصولها على الطفل إلى الإرادة الإلهية، هكذا أيضاً تحول عدم تصديق آلام ولادة العذارى إلى إيمان بانتسابهم إلى العنصر الإلهي.

ولأن ولادة العاقر، سبقت ولادة

ولادة يوحنا المعمدان قبل ميلاد المسيح وشهادة زكريا:

والآن قد يكون الوقت قد حان لنُشير إلى زكريا الذي قُتل بين الهيكل والمذبح، كشاهد للأم العفيفة أو النقية. فزكريا كان كاهناً، وليس فقط كاهناً، لكنه كان يحمل موهبة النبوة (لو ١: ٣)، التي أُعلنت قوتها في الإنجيل. فعندما أعدت النعمة الإلهية الناس لكي لا يعتبروا ولادة العذراء للكلمة أمراً مستحيلاً، فقد هيئ لقبول هذا الأمر لدى غير المؤمنين بواسطة معجزات قليلة، مثلما حدث على سبيل المثال مع العاقر المسنة التي أنجبت ولداً (أليصابات). وكان ذلك مقدمة لمعجزة العذراء (أن العذراء تلد). وكما أن أليصابات لم تَصْر أماً بقوتها الطبيعية إذ أنها كانت قد بلغت سن الشيخوخة دون أن تنجب ولداً، فإن ولادة الولد

العذراء، ارتكض الجنين في بطن أليصابات قبل أن يرى النور حين سمع تلك التي حملت الرب، وبمجرد أن وُلِدَ السابق للكلمة، عندئذٍ -بالإلهام النبوي- انقطع صمت زكريا، عندئذٍ كان كل ما فاه به، نبوءةً عن المستقبل.

ولذلك، فهذا الذي انقاد -بالروح النبوي- إلى معرفة ما كان مستتراً؛ إذ أدرك سر ولادة العذراء دون فساد، لم يدعُ الأم كلية النقاوة لأنْ تخرج من مكان الهيكل الذي كان قد عُيِّن مسبقاً للعذارى وفقاً للناموس، معلّماً هكذا اليهود، بأن خالق الكل وملك كل الخليقة، والذي تحت سلطانه الطبيعة البشرية مع الكل، وبإرادته يقودها حيث يريد، دون أن تمتنع هي عن ذلك، يمكنه أن يخلق نوعاً من الولادة الجديدة لا تترع عن التي صارت أماً خواص أن تكون عذراء. لذلك لم يدعُها للخروج من مكان العذارى، هذا الذي كان يقع بين الهيكل والمذبح.

تُنسب إلى الإرادة الإلهية، هكذا فإن ألم البطن العذراوية التي لا تُصدق صارت مُصدقة بالإشارة إلى التدبير الإلهي.

إذاً فلأن الولد الذي أتى من العاقر سبق ذاك الذي أتى من العذراء، هذا الابن الذي ارتكض بابتهاج في بطن أمه حين سمعت صوت تلك التي حملت الرب في أحشائها، فقد إنفك آنذاك صمت زكريا بواسطة الإلهام النبوى عندما وُلد السابق للكلمة. وكل ما قاله زكريا شكّل نبوءة للمستقبل.

إذاً فذاك الذي قاده الروح النبوى لمعرفة الأمور المخفية، قد فهم سر البتولية في الميلاد الذي بلا فساد، لم يعزلها أو يفرز الأم البتول وهى داخل الهيكل، من المكان المُعد سابقاً للعذارى من قبل الناموس، أراد أن يُعلّم اليهود بأن خالق الكل وملك الكون، بالإضافة لكل الأمور الأخرى، قد وضع على نفسه التزاماً تجاه الطبيعة الإنسانية ليوجهها وفق إرادته، وكما يرتأى له، ولا تسود عليه هذه الطبيعة، إذ أن في سلطانه وفي قدرته أن يخلق ميلاداً جديداً. هذا الميلاد لن يترع عن تلك التي صارت أماً صفة البتولية أى أنها تبقى عذراء. ولهذا لم يفرزها أو

يعزلها داخل الهيكل من مكان سكنى العذارى. وهذا المكان، كان هو الموضع بين الهيكل والمذبح.

ولأنهم سمعوا أن ملك الخليقة سوف يُولَد -بحسب التدبير- مثل إنسان، ولأنهم ربما خافوا من أن يصيروا تحت طوع هذا الملك، قتلوا هذا الذي شهد بخصوص هذه الولادة، ذابحين الكاهن بجوار المذبح ذاته.

إذاً لأنهم سمعوا (أى اليهود) أن ملك الكون سيولد كإنسان بحسب التدبير، قتلوا ذاك الذي أعطى الشهادة (أى زكريا) لهذا الميلاد، الكاهن الذي كهن بالقرب من نفس المذبح (مت ٢٣: ٢٥)، بسبب الخوف من أن يصيروا عبيداً لملك.

هذه الملاحظات السابقة تقود مباشرةً إلى تبني الرأي القائل بأن تركيبة هذا العمل كوَّنها القديس كيرلس بنفسه. والمرات التي فيها فعل مثل هذا التكوين ليست قليلة، فقد سبق له أن جمَّع نصوصاً لآباء سابقين له، باعتباره الأب الأول الذي اعتبر نصوص الآباء شواهِد يستشهد بها مثل استشهاده بالكتاب المقدس.

إن الآراء اللاهوتية الواردة في الفصول الخمسة الأخيرة لعمله «ضد الذين يتصورون أن لله هيئة بشرية» هي آراء مألوفة ومعتادة عند القديس كيرلس. وهذا هو السبب في أننا لا نريد فصل هذه الفصول عن بقية عمله هذا، الأمر الذي أخذت به الدراسات البحثية حتى اليوم، وذلك طالما أننا نعتبر أن التعاليم الواردة في هذه الفصول هي تعاليم كيرلسية، وبالتالي تنضم في مجملها للتقليد الأرثوذكسي الذي ينادي بالابتعاد عن حرف الناموس.

في هذه الدراسة، بالإضافة إلى النصوص التي كوَّنت عمل كيرلس "ضد الذين يتصورون أن لله هيئة بشرية" κατά ἀνθρωπομαρφιτῶν تنضم أيضاً ثلاث رسائل كانوا الدافع لكتابة القديس كيرلس لآرائه حول مسألة "ضد الذين يتصورون أن لله هيئة بشرية" ἀνθρωπομαρφισμοῦ. الرسالتان الأوليان هما: رسالة أُعطيت للقديس كيرلس من الأخوة الذين أتوا من فلسطين، وأسئلة أُعطيت للقديس

كيرلس من الشماس تيفيريون والأخوة الثمانية حُفظت فقط باللغة السريانية وجاءت من مخطوط *MS B. M. Add 14, 531*. وقد نشر بوزي الرسائل في البداية *P. E. Pusey*[1]، ثم بعد ذلك نشرهما *R. Y. Ebied and L. R. Wickham*[2]. الإصدار الثاني كان أكثر اكتمالاً من الأول؛ لأنه اشتمل على الترجمة الإنجليزية للنص والذي يمثل أساس الترجمة اليونانية للبروفيسور ستامُولِس:

Χρυσοστόμου Α. Σταμούλη، Κυρίλλου Αλεξανδρείας κατά ἀνθρωπομαρφιτῶν، πρόλογος πρωτ. Γεωργίου Δ. Δράγα، Δρ. Θ. καθηγητή πανεπιστημίου Αγγλίας، Μετάφραση Γεωργίας ροδινοῦ φιλολόγου، Χρυσοστόμου Σταμούλη. Δρ. Θ.، Ἐκδόσεις « το παλίμψηστον» Θεσσαλονίκη 1993.

الرسالة الأولى غير كاملة وناقصة، وهذا يرجع إلى الحالة السيئة للمخطوط. الرسالة الثانية بالرغم من أنها تشير إلى أسئلة موجهة إلى القديس كيرلس، إلّا أنها لا تحتوي على الأسئلة التي حُفظت فقط في إجابة القديس كيرلس على خطاب تيفيريون والتي بالفعل لها عنوان كما ذكرنا: الرسالة إلى تيفيريون الشماس. يرى العالمان *R. Y. Ebied and L. R. Wickham* أن نزع الأسئلة من خطاب تيفيريون ووضعها في رسالة كيرلس هو عمل قام به الذي أصدر هذا العمل *MS B. M. Add 531.14*.

الرسالة الثانية تحمل عنوان:

Ἀξίωσις ἐπιδοθεῖσα τῷ ἁγίῳ κυρίλλῳ πιστῷ ἀρχιερεῖ، γνησίῳ θεράποντι θεοῦ، Ἁγίῳ κυρίλλῳ ἀρχιεπισκόπῳ Ἀλεξανδρείας παρά τής ἀδελφότητος.

وحُفظت فقط في مخطوط *Laurentianus Mediceus* كما ذكرنا.

في البداية نُشرت بواسطة *Bandinus* [3] ثم بعد ذلك بواسطة بوزي *P. E.*

1- Pusey 3, PP. 567-572.

2- The Letter of Cyril of Alexandria to Tiberius the Deacon. Syriac Version, Museon 83 (1970), PP. 438-446.

3- S. F. W. Hoffmann, Bibliographisches Lexicon, P. 485. Pusey3, P. 547.

Pusey [1]. المُرسل إليه الرسالة هو أيضاً الشماس تيفيريون وبقية الأخوة.

أجاب القديس كيرلس على رسالة تيفيريون[2] والشواهد الداخلية لهذه النصوص تُظهِر مسيرة الحوار وتضع الرسائل في ترتيب زمني:

(أ) الرسالة التي أُعطيت إلى القديس كيرلس، رئيس أساقفة الإسكندرية من الأخوة الذين أتوا من فلسطين ونرمز لها بالحروف الآتية: Π .A .E.

(ب) الأسئلة التي أعطيت للطوباوي كيرلس، رئيس أساقفة الإسكندرية، من الشماس تيفيريون والأخوة الثمانية ويرمز لها بكلمة: Ἀξίωσις .

(ج) الرسالة إلى الشماس تيفيريون.

(د) إجابة القديس كيرلس للأخوة.

(هـ) عن حلول عقيدية περί δογμάτων ἐπιλύσεων

٢- مشكلة «الذين يتصورون أن لله هيئة بشرية» قبل القديس كيرلس:

إن مصطلح «أنثروبومورفيسموس ἀνθρωπομαρφισμος يعني وصف الله بصفات بشرية أو إعطاء الله مواصفات وخواص بشرية[3].

يوجد عادةً شكلين من الأنثروبومورفيسموس[4]:

(أ) الشكل البسيط الساذج:

ὁ ἁπλοϊκός ἀνθρωπομορφισμός

(ب) الشكل الرمزي ـــ النفسي[5]:

ὁ συμβολικός - Ψυχικός ἀνθρωπομορφισμός

1- Pusey 3, PP. 547-548.

٢- معلوماتنا عن تيفيريون معدومة، وهي تأتي بالأخص من رسالته إلى كيرلس. ووفق الرسائل، كان تيفيريون شماساً فلسطينياً ورئيس دير. أنظر:
W. Smith – H. Wace, Dictionary of Christian Biography, IV, P. 1025. Pwk. VI 2, P. 807. R. Y. Ebied L. R. Wickham, P. 433.

3- H. G. Liddell – R. Scott, Μέγα Λεξικόν τῆς Ἑλληνικῆς Γλώσσης, τόμ. 1. Αθήνα, σελ. 226.

٤- أي الفكر الذي ينادي بأن الله له هيئة بشرية

5- Π. Α. Μ. Τόμ 9, Ἀθήνα 1981, σελ. 230

أتباع الشكل الأول يدركون الله كأنه كائن جسدي ويعطونه -جسدياً- صفات بشرية. الحديث هنا عن تطور نموذج الشكل الحيواني، والشكل الحيواني البشري للآلهة عند الشعوب البدائية[1].

أمّا أتباع الشكل الثاني، فيدركون الله داخل مبدأ القياس، ويستخدمون تعابير بشرية[2]. نجد الشكل الثاني عند أتباع الديانات الأكثر تطوراً من ديانات الشعوب البدائية، وقد نجده في المسيحية[3]. المثير للاهتمام هو الأنثروبومورفيسموس الذي نتقابل معه في الديانة اليونانية القديمة وكذلك في العهد القديم[4]. ظهوره يعلن احتياج الإنسان للتواصل مع العنصر الإلهي، أن يصير صديقه وشريكه. وقد لاحظ اليوناني إكسينوفانس حيث كان يدرس الصور ذات الشكل البشري في أشعار هوميروس، بأنه لو قامت الأحصنة والبقر بعملية رسم، فسوف ترسم الأحصنة آلهة من جنسها، وكذلك البقر سوف ترسم آلهة من نوعية البقر[5]. نفس الأمر يسري على الرسم المعاصر حيث أن الإفريقي ذو البشرة السمراء يشعر بأنه أكثر قرباً لمسيح أفريقي ذي بشرة سمراء عن مسيح ذي بشرة بيضاء، هنا الوقائع التاريخية والموضوعية لا تُلغّى. الحديث بالأكثر هنا عن إعادة خلق وتشكيل، بأهداف عملية من خلال الرموز والصور والأمثلة[6]. بالتأكيد ظاهرة الانحراف ليست مستحيلة عندما يصير الرمز هدفاً في حد ذاته ويبتعد عن أصله، هنا يظهر «التطابق الجوهري لله مع المخلوق الذي يأتي من إنزال الأول إلى مرتبة الثاني[7]».

هذا هو الفرق بين الاختلاف الأساسي بين الأنثروبومورفيسموس للديانة

1- G.Lienhardt, Κοινωνική ἀνθρωπογία (μετφρ. Μ. Πετρονώτη), Ἀθήνα 1985, σελ. 163 ἐξ.

2- H. A. Wolfson, the philosophy of church Fathers, Cambridge – Massachusetts 1970, P. 289

3- Π. Φ. Ηλίτσεφ – Π. Η. Φεντοσέγιεφ, Φιλοσοφικό Ἐγκυκλοπαιδικό Λεξικό, Τόμ. 1, Ἀθήνα 1985, 129. Π.Λ.Μ. , Τόμ. 9, Ἀθήνα 1981, σελ. 230.

4- H. A. Wolfson, the philosophy of church Fathers, P. 288.

5- Diels, Die Fragmente der vorsokratiker 5, 21, Xenophanes, Fr. 15.

6- Κυρίλλου Αλεξανδρείας, Ὑπερ τῆς τών Χριστιανῶν εύαγοῦς θρησκείας, πρός τά τοῦ ἐν ἀθεοις Ἰουλιανοῦ, PG76, 764D – 765A.

7- Κυρίλλου Αλεξανδρείας, PG76, 941B.

اليونانية القديمة والأخرى الكتابية. الأولى أبطلت الاختلاف الجوهرى بين المخلوق وغير المخلوق، الأمر الذي يمثل التعليم الأساسي للثاني[١]. المقاربة التفسيرية الأولى لمصطلح أنثروبومورفيسموس حدثت في مصر في القرن الرابع في نطاق التعليم المسيحي حيث المصطلح يعني إعطاء الله هيئة وشكلاً بشرياً[٢] مع إلغاء الاختلاف الجوهرى بين المخلوق وغير المخلوق.

هذا المفهوم نجده عند يوحنا كاسيان[٣]، وجيروم[٤]، والمؤرخان سقراط[٥] وسوزومينوس[٦]. وقد قام الأب جورج فلورفسكي بنقد كتابات هؤلاء الكتاب في دراستين عن أتباع الأنثروبومورفيسموس في الصحراء المصرية[٧] وقد اتبع الأب جورج فلورفسكي[٨] *Chadwick* باعتبار أن مصطلح " أنثروبومورفيتس ἀνθρωπομαρφίτης[٩] هو مصطلح سيء النية اخترعه أتباع تعليم أوريجينوس في إثارة الصراع بينهم وبين أتباع الأنثروبومورفيسموس، إذ أستخدم كسلاح دماغوغي ضد خصومهم، الذين يمثلون الأغلبية في مصر وكانوا يقبلون التفسير الحرفي للكتب المقدسة[١٠]. هدف المصطلح لم يكن إدانة مجموعة هرطوقية معينة،

1-H. A. Wolfson, the Philosophy of the Church fathers, P. 298.

2- W. H. Lampe, A patristic Greek Lexicon Oxford 1961, P. 140. Σωκράτους , Ἐκκλησιαστική Ἱστορία 6,7,27 , PG67, 688 B.

3- M. Petschening, Joannes Cassianus Conlationes 10, 3, CSEL 13 (1886), PP. 288-289.

4- Ἱερωνύμου, Cantra Johannem Hierosolymitanum, PL 23, 378B.

5- Σωκράτους, Ἐκκλησιαστική Ἱστορία6,7,27 , PG67, 688 B.

6- Σωκράτους, Ἐκκλησιαστική Ἱστορία 8,12,12 , PG67, 1549A.

7- G. Florovsky, οἱ ἀνθρωπομαρφῖτες τῆς αἰγυπτιακῆς ἐρήμου 1, θέματα Ἐκκλησιαστική Ἱστορίας (μτφρ. Π. Κ. πάλλη) θες/νίκη 1979, σελ. 105-114.

أيضاً أنظر عمله الثاني:

Θεόφιλος Ἀλεξανδρείας, καί ὁ Ἀββᾶς καί Ἀπφύτῆς Pemdje οἱ ἀνθρωπομαρφῖτες τῆς αἰγυπτιακῆς ἐρήμου 2, θεματα Ἐκκλησιαστική Ἱστορίας (μτφρ. Π. Κ. πάλλη) θες/νίκη 1979, PP. 115-154.

8- John Cassian A study in Primitive Monasticism, Cambridge 1990, P. 16, 34-39.

٩- ي أتباع الذين يتصورون أن لله هيئة بشرية .

10- G. Florovsky, όπ. Παρ. σ.107, F. Young, from Nicaea to chalcedon, South-ampton 1985, σ. 142. Χ. παπαδοπούλου, Ἱστορίας τῆς Ἐκκλησίας Ἀλεξανδρείας (62-1934), Ἀλεξανδρεία 1935, σ. 246.

حيث أن أتباع الأنثروبومورفيسموس لا يمثلون بالنسبة له هرطقة، بل هو مصطلح سيء السمعة من قبل(١).

إن أتباع الأنثروبومورفيسموس كانوا بالنسبة للأب جورج فلورفسكي بسطاء سُذَّج «απλοϊκοί» قاوموا اتجاه أوريجينوس للابتعاد عن الإنجيل التاريخي. كانوا بالحري النواة الحقيقية لحركة المقاومة في الصحراء حيث دُعُوا من خصومهم: أنثروبومورفيتس. الكلام هنا -كما أكد الأب جورج فلورفسكي- عن مثال كلاسيكي للتصادم التاريخي بين التقوى الشعبية وأقوال التعليم الآبائي الذي زعزع الحياة المسيحية في القرن الثالث والرابع(٢). يعتبر الأب جورج فلورفسكي أن بداية الصراع ضد أتباع الأنثروبومورفيسموس قام به أوريجينوس نفسه. وهو يستند على تفسير أوريجينوس لسفر التكوين PG12،PG12 .96 ،95) في إطار حديثه عن "بحسب الصورة" حيث يؤكد أن جسد الإنسان ليس هو بحسب صورة الله كما ينادي ميليتوناس، بل بحسب الصورة تخص النفس العاقلة. يعتبر أيضاً الأب جورج فلورفسكي أن هجوم أوريجينوس على ميليتوناس هو هجوم ظالم لأنه لا يوجد أي مقطع من أعمال ميليتوناس تُظهر أنه أنثروبومورفيتس(٣). على النقيض يهاجم فلورفسكي أوريجينوس لتاكيده المطلق بأن صورة الله في الإنسان لا تخص الجسد، بل فقط النفس(٤).

أيضاً ينبغي علينا أن نسجل بأن اتخاذ مثل هذا الموقف تجاه القديس كيرلس هو نوع من الظلم، هذا اللاهوتي الأسكندري الذي يمثل أساساً لكثيرين، بل لكل الآباء الذين كتبوا باللغة اليونانية(٥).

الصياغات الآبائية القاطعة والاستثنائية للمواقف اللاهوتية ليست ابتداعاً في مجال

1- G. Florlvsky, όπ. Παρ.

2- G. Florlvsky, οἱ ἀνθρωπομαρφῖτες τῆς αἰγυπτιακής ἐρήμου 1, θὲματα Ἐκκλησιαστική Ἰστορίας, σ.111. D. J. Chitty, the Desert a City. An Intpoduction to the study of Egyption and Palestinion Monasticisn under the Christion Empire, Oxford 1966, PP.53,56.

٣- أي من أتباع الذين يتصورون أن الله له هيئة بشرية، أنظر: جورج فلورفسكي، المرجع السابق. όπ. Παρ.

٤- أنظر جورج فلورفسكي، المرجع السابق، ص١١٢. όπ. Παρ. σ.112

5- P. Tzamalikes, the Concept of Time in Origen, Bern – Frankfurt/ M. – New York – Paris 1991.

الكتابات المسيحية. كما بالصواب سَجَلَ أستاذ اللاهوت نيلاس Π. Νέλλας قائلاً بأن هذا الواقع يرجع إلى أن الآباء كان نُصب أعينهم محاربة هرطقة معينة[1]. على الجانب الآخر، التصادمات الخارجية لا تشكل جوهر العقيدة، طالما أن معيار الحق لا يستند على استنتاجات البحث التاريخي، بل بالحري على الإعلان الذاتي لحياة الجسد الكنسي[2].

الكُتّاب[3] الذين أتوا بعد ذلك طابقوا الأنثروبومورفيتس[4] مع الأوديانوس[5] الهراطقة Ὠδιανούς أو Αὐδιανούς الذين انتشروا في سوريا وبلاد ما بين النهرين في القرن الرابع[6]، والذين كانوا ينادون بأن «بحسب الصورة» تخص جسد الإنسان معتبرين الله منظوراً وأضفوا عليه صفات ذات شكل بشري[7].

إن أفكار الأنثروبومورفيتس قد أتت من الأوديانوس، هذا ما استند عليه الذين طابقوا الأنثروبومورفيتس بالأوديانوس[8].

هذا الرأي يرفضه أيضاً الأب فلورفسكي الذي يؤكد أن الأنثروبومورفيتس ليس لهم أي علاقة بالأوديانوس الهراطقة[9].

1- Π. Νέλλας, Ζῶον Θεούμενον. προοπτική γιά μιά ὀρθοδόξη κατανόηση τοῦ ἀνθρώπου, Αθήνα 1981, σ. 246.

2- Ν. Ματσούκα, Γένεσις καί οὐσία τοῦ ὀρθοδόξου Δόγματος, Ἀνάλεκτα Βλατάδων 2, Θεσσαλονίκη 1969, σ. 99. Πρβλ. Χ. Ἀ. Σταμούλη, Ἡ Θεοτόκος, σ. 468-469.

3- Α. Κωνσταντινίδη, Μέγα Λεξικόν τῆς Ἑλληνικῆς Γλώσσης, Αθήνα 1901, σ. 226 (στ.λ).

٤ – أي أتباع الذين يتصورون أن لله هيئة بشرية

5- Ἐπιφανίου, κατά αἱρέσων ὀγδοήκοντα το ἐπικληθέν, πανάριος εἴτ οὖν κιβώτιος 3, 1, PG 42,340.

6- Ἐπιφανίου, ὅπ. Παρ. 372D- 373B.

7- Ἐπιφανίου, ὅπ. Παρ. 341C.

8- G. Florovsky, Θεόφιλος Ἀλεξανδρείς καί ὁ Ἀββᾶς Ἀπφύ τῆς Pemdje, Θεματα Ἐκκλησιαστική Ἱστορίας, σ. 133.

9-οἱ ἀνθρωπομαρφῖτες τῆς αἰγυπτιακής ἐρήμου 1, Θέματα Ἐκκλησιαστική Ἱστορίας, σ. 107.

وأكد على أن هذا الافتراض الخاطئ يقود إلى تشويه دراسة كل الموضوع[1].

كان رأي H. Ch. Puech أكثر موضوعية، إذ شدد على الخطر الذي يمكن أن يأتي من التطابق غير المميز بين الأوديانيين والأنثروبومورفيتس لكن بدون أن يغيب عنه ترك موضوع تأثر الأنثروبومورفيتس في مصر بالأوديانيين[2].

إن موقف فلورفسكي الذي يهدف إلى إعادة النظر في مشكلة الأنثروبومورفيتون داخل تعقب علاقتها بالمنازعات الأوريجانية، يمكن أن تُفسر فقط لو ربطناها مع مناظرة الأب أبفو مع ثيوفيلوس السكندري الخاصة بموضوع صورة الله في الإنسان التي يشرع فلورفسكي في تفسيرها.

هذه المناظرة حُفظت في كتاب «حياة الطوباوي أبفو Ἀπφυ". وهو كتاب من كُتب سير القديسين، خاص بالكنيسة المصرية، لكن له أهمية خاصة بالنسبة لتاريخ العقيدة الأرثوذكسية.

لن نبالغ إذا شددنا على أن مشكلة تفسير "بحسب الصورة" كانت الموضوع المركزي للنزاع الأنثروبومورفيتكي. بالإيجاز كانت كالآتي: عاش المتوحد أبفو بعيداً عن البشر، كان يتحدث مع الوحوش وكان يظهر فقط في مدينة أكسيرنخو (البهنسا) في يوم البصخة. أثناء أداء صلاة البصخة في الكنيسة عام ٣٩٩ م سمع رسالة الأسقف ثيوفيلوس التي كانت تُقرأ في الكنيسة. نادى أسقف الإسكندرية في هذه الرسالة بأن الإنسان الخاطئ ليس هو بحسب صورة الله، والتف ضد الأنثروبومورفيتون. رد أبفو الناسك كان مباشراً وقوياً، وطلب سماع ثيوفيلوس ونجح في ذلك. ظهر أمامه كإنسان بسيط لكن مبرره كان ينم على أنه معلم حكيم.

بعد مناقشة كبيرة اقتنع ثيوفيلوس بواسطة حُجة ورأي أبفو الحاسم وقَبِلَ بأن الإنسان الخاطئ يمكن أن يكون صورة الله، وتقيد بأن يغير العبارة الواردة في رسالته الفصحية، الأمر الذي صار، هكذا رجع أبفو إلى الصحراء. وفيما بعد دعا ثيوفيلوس الأب الناسك ورسمه أسقفاً على أُكسيرنخو (البهنسا). وقد أظهر أبفو إدراكاً ونشاطاً راعوياً مميزاً

1- G. Florlvsky, Θεόφιλος Ἀλεξανδρείς καί ὁ Ἀββᾶς Ἀπφύ τῆς Pemdje, Θεματα Ἐκκλησιαστική Ἰστορίας, σ. 116.

2- H. Ch. Puech, Reallexikov für Antike und Christentum, λ., I (1950), 910-915.

بالرغم من أنه كان متردداً في قبوله هذا الاختيار[1]. نموذج الأب أبفو الذي عبَّر عن محصلة التعليم الآبائي الأرثوذكسي بخصوص تعبير «بحسب الصورة» ألهب حماس الأب فلورفسكي وقاده إلى التعميم واستنتاج نتائج خطيرة عن الأنثروبومورفيتس. إن العلاقة الرمزية والشاملة للأنثروبومورفسموس الخطيرة بالأنثروبومورفسموس التي واجهها القديس كيرلس سوف نراه مباشرةً.

٣ــ تعليم القديس كيرلس عن الأنثروبومورفيتيس[2]

(أ) الإطار التاريخي العقيدي:

رسالة تيفيريوس وبقية رسائل الرهبان التي أُرسلت إلى القديس كيرلس، وإجابات القديس كيرلس مثل الرسالة إلى كالوسيريون[3] تمثل التقارب الأساسي للإطار التاريخي والعقيدي الذي أظهر تعليم القديس كيرلس الخاص بمسألة الأنثروبومورفيسموس. المعلومات التي أخذها كيرلس عن الأنثروبومورفيتس كانت بواسطة الرسائل التي أرسلها الشماس الفلسطيني تيفيريوس ورهبانه، كذلك أيضاً من شهادات الرهبان الذين زاروه[4].

طُلِب من القديس كيرلس أن يعطى حلاً لسلسلة من المناقشات العقيدية الواردة في الرسائل، وانشغل بها الأخوة في فلسطين والتي تخص أيضاً بطريقة مباشرة مسألة الأنثروبومورفسموس.

في الرسالتين الأوليين وُصِفَ الأنثروبومورفيتيس بالهراطقة ومكان انحدارهم مجهول[5]. حيث مكان انحدارهم هو فلسطين.

1- G. Florlvsky, Θεόφιλος Ἀλεξανδρείας, καί ὁ Ἀββᾶς καί Ἀπφύτης Pemdje, θεματα Ἐκκλησιαστική Ἱστορίας, σ. 120εξ.

٢- أي عن أتباع الذين يتصورون أن لله هيئة بشرية

٣- كالوسيريون كان أسقفاً قبطياً لأرسينوي في مصر حضر مجمع أفسس ٤٤٩م، للمزيد عنه، انظر:
J. Mansi, Sacrorum Coniliorum nova et amplissima Collectio VI, 856. 933.
Χ. παπαδοπούλου Ἱστορίας τῆς Ἐκκλησίας Ἀλεξανδρείας, σ. 158.

4- PG76, 1065 Pusey3, P. 603.

5- R. Y. Ebied – L. R. Wicham, the Letter of Cyrilo of Alexandria to Tiberius the Deacom. Syriac version, Museon 83 (1970), P. 438.

يغيب عن الرسالة الثالثة مصطلح هراطقة، ووُصفوا بأوصاف مثل: مهوسون، مرضى، فوضويون[1]. الرهبان الذين أتوا من بلاد آبيل βηλινῶνÀ في سوريا[2]، هؤلاء بسبب بعض المناقشات العقيدية نشأت علاقات عدائية فيما بينهم. الكلام هنا عن نزاع تطور إلى اضطهادات وحرومات[3]. يبدو أن هؤلاء الرهبان لا يتطابقوا مع الرهبان الهراطقة الذين وردوا في الرسالتين الأوليين. أيضاً فيما عدا رهبان آبيل Ἀβηλινῆς يرد ذكر رهبان مصريين يعانوا نفس هوس أولئك لأنهم لم يتعلموا التعليم المستقيم عن الله. أناس منهم لجأوا إلى آباء في فلسطين لكي يتدبروا هذه المشكلة الكبيرة. لكن هؤلاء الآباء كانوا يدركون جيداً قدرتهم المحدودة في مواجهة هذه المشكلة، وفضّلوا إرسال هذا الموضوع للقديس كيرلس طالبين منه كتابياً التعليم الصحيح الذي يضع نهاية لهذا النزاع[4].

أيضاً بالإضافة إلى المعلومات المكتوبة التي أخذها القديس كيرلس، أخذ شهادات شفاهية من رهبان من جبل القلمون في مصر.

نستنتج من كل ما قلناه، أن القديس كيرلس واجه أنثروبومورفيتيس من ثلاثة أماكن على الأقل: سوريا وفلسطين ومصر. ويبدو أن تعليم هؤلاء كان مشتركاً بالرغم من اختلاف الأماكن. ملمح هذا التعليم هو إعطاء الخواص والأشكال البشرية إلى الله بسبب خلق الإنسان «بحسب صورة الله»[5].

الارتباط العام بمكان ظهور وتعليم الأنثروبومورفيتون قاد الباحثين المُحدثين[6] لتطابق الأنثروبومورفيتون الذين واجههم كيرلس بالأوديانوس الهراطقة أو المنشقين[7].

1- Pusey 3, P. 548.

٢- أي من مدينة آبيلا أو آبيلي ومتأخراً سُميت κλαυδιούπολις. أنظر:
Π. Δρανδάκη, Μεγάλη Ἑλληνική Ἐγκυκλοπαίδεια, Ἀθήνα 1928, στ. λ. Ἀβίλη.

3- Pusey 3, P. 548.

4- Pusey 3, P. 548.

5- Pusey 3, P. 603. PG76, 1068A.

6- PG76, 1065.

7- Ἐπιφανίου, κατά αἱρὲσεων3, 1, PG42, 340A. وأيضاً Χ. Παπαδοπούλου, Ἱστορίας τῆς Ἐκκλησίας Ἀντιοχείας, Ἀλεξανδρείας 1951, σ. 682.

يعتبر القديس إبيفانيوس قبرص أنهم كانوا في كل شيء أرثوذكس، فيما عدا آرائهم الخاصة بالأنثروبومورفيسموس واختلاف عيد البصخة لذلك يعتبرهم منشقين وليسوا هراطقة.

حركة الأوديانين ظهرت في أيام آريوس حوالي ٣٧٥م وفق معلومات إبيفانيوس، تدهورت جماعتهم المنشقة[1].

إذن واضح اختلاف ستون عاماً تفصل بين الأوديانيين والأنثروبومورفيتيس الذين واجههم القديس كيرلس. بالتأكيد لو افترضنا أن سنة ٣٧٥م تدهور الأوديانيين لكن لم يختفوا، فعلى الأقل نستطيع أن نقترب من تحديد السنوات التي ظهر فيها الأنثروبومورفيتون. هكذا نستطيع أن نفترض وجود تأثير من بقايا الأوديانيين للقرن الرابع على الأنثروبومورفيتون في القرن الخامس، وفي نفس الوقت نرفض أي تطابق فيما بينهما.

هكذا لم ينحصر التعليم اللاهوتي للقديس كيرلس أثناء مواجهة الأنثروبومورفيتيس فقط في حل مشكلة «بحسب الصورة» في الإنسان، بالرغم من أن هذا يمثل الموضوع المحوري في خلافهم مع الأرثوذكس، بل امتد هذا التعليم ليغطي مناقشات عقيدية أخرى أجبرت كيرلس على ربطهم بالأريوسيين والنساطرة[2].

بهذه التقييمات نأتي إلى بداية البحث الحديث بموضوع علاقات أنثروبومورفيتون القرن الخامس الذين واجههم القديس بأولئك في القرن الرابع الذين واجههم القديس ثيوفيلوس.

يمكن بالتقدير الأول، الأنثروبومورفيتيس الذي سبق أن ذكرناهم ليس لهم أي علاقة فيما بينهما. هذا التقييم يمكن أن يستند على مكان ظهورهم المختلف واختلافاتهم اللاهوتية. على سبيل المثال في حالة ثيوفيلوس لدينا أنثروبومورفيتيس

1- Ἐπιφανίου, κατά αἱρὲσεων3, 1, PG 372C – 373B.

2- E. P. Meijering, some Reflections on Cyril of Alexandria Rejection of Anthropomorphism, Nader lands theologisch Tijdschift 28 (1974), P. 279. R. Y. Ebied – L. R. Wicham, the Letter of Cyrilo of Alexandria to Tiberius the Deacom. Syriac version, Museon 83 (1970), P. 435.

فقط في مصر، بينما في حالة كيرلس لدينا من سوريا وفلسطين ومصر. التعليم الخاص بالمجموعة الأولى يخص فقط تعبير « بحسب الصورة»، بينما المجموعة الثانية يمتد إلى مشاكل لاهوتية أخرى.

لكن بالتقييم أو التقدير الثاني يمكن أن يطابق أنثروبومورفيتيس معينين. في هذه الحالة يمكن للمرء أن يستدعى تقليد آباء إسكندرية ، الذي ينتمي إليه ثيوفيلوس واستمر عليه كيرلس، المتوجه بوضوح في انحصار «بحسب الصورة» على «الإنسان الداخلي»، بمعنى على الجانب الروحي لوجوده[1]. بهذه الطريقة يُعتبر القديس كيرلس مباشرةً مستمر لصراع ثيوفيلوس ضد الأنثروبومورفيتون عند الدوائر الرهبانية في مصر ومحافظ على التقليد المتعلق بهذا الموضوع.

تقديراتنا للآراء المضادة، تجعلنا نلاحظ أن أي من هذه الآراء هو صحيح بشكل مطلق ولا بالتأكيد خاطئ بشكلٍ مطلق. هكذا لدينا مشكلة ذات خليط متشابك خاصة بتصور أن الله له هيئة بشرية، هذه المسألة تستند على معطيات تاريخية وملامح لاهوتية ذات تعبيرات تفسيرية عديدة. بالتالي الأنثروبومروفيتس للقرن الخامس لديهم علاقة لكن بدون أن يتطابقوا بشكل مطلق مع نُظرائهم في القرن الرابع. هؤلاء انحصروا في نطاق سوء تفسير الكتاب المقدس، وأيضاً في نطاق دمج هذه الكُتب المقدسة في إطار تقليد لاهوتي معين. كذلك علاقة المجموعتين بالأوديانيين الهراطقة غير مؤكدة، الأمر الذي يقوي رأي *H. Ch. Puech* الذي قد سبق أن أشرنا إليه[2]. بحسب القديس كيرلس، الجهل هو الذي قاد الأنثروبومورفيتس لسوء تفسير الكتب المقدسة وبالتحديد (تك١: ٢٦) لأجل هذا السبب لا يُسموا هراطقة، ووصفوهم القديس كيرلس بأنهم غير متعلمين، غير فاهمين وضالين.

يبدو أن القديس كيرلس كان دقيقاً جداً في هذه المسألة، الأمر الذي يعلن أنه جاد في مواجهة هذا الموضوع، لكنه في نفس الوقت احتفظ بمسافة بينه وبين

1- G. Florlvsky, Θεόφιλος Ἀλεξανδρείς καί ὁ Ἀββᾶς Ἀπφύ τῆς Pemdje, Θὲματα Ἐκκλησιαστική Ἱστορίας, σ. 150.

2-H. Ch. Puech Reallexikon Für Antike und Christentum I (1950), 910-915. R. Y. Ebied – L. R. Wicham, the Letter of Cyrilo of Alexandria to Tiberius the Deacom. Syriac version, Museon 83 (1970), P. 435.

آراء البطريرك السابق ثيوفيلوس[1]. على الجانب الآخر، من الواضح أن القديس كيرلس لم يواجه الموضوع بتطفل، بل بناء على طلب أصحاب هذه المسألة تقديراً منهم لشخصيته وعِلمه اللاهوتي. هكذا لم يتورط هو في معركة شخصية بل احتفظ بمسافة حيادية، الأمر الذي جعله يعبر عن التعليم الأرثوذكسي. لذلك فإن حديثه وردوده هي واضحة تستند على مبررات منطقية وتعليمية (كتابية وآبائية) وتُظهر إمكانية القديس كيرلس على التعبير العقيدي الدقيق.

نرى إذن أن هذا العمل هو بمثابة عرض موجز للإيمان الأرثوذكسي (عقيدةً وعملاً)، إذ هو يغطي موضوعات لمجال واسع من اللاهوت والتدبير.

(ب) محتوى النص:

عرض القديس كيرلس تعليمه على شكل إجابات معينة لأسئلة محددة على موضوع الأنثروبومورفيتون. كانت الأسئلة في مواضيع متسعة، مما جعل الإجابات تأخذ شكل التلخيص العقيدي بدون الملمح المنهجي، حيث غطى هذا الشكل بنجاح ووضوح ودقة فصلين أساسيين في التعليم اللاهوتي الأرثوذكسي: اللاهوت والتدبير θεολογία καί οἰκονομία.

ترتيب فصول هذا العمل -كما هو لدينا اليوم- يعطي انطباعاً بأن محاولة جرت لتجزئة النص من حيث موضوعاته. هذا العمل صعب لأن النص لم يُكتب مرة واحدة، بل هو نتاج ثلاثة رسائل كُتبت في فترات زمنية مختلفة. لم يهتم القديس كيرلس بالترتيب المنهجي للفصول على أساس أعمال سابقة لآباء آخرين[2] بل اهتم بعرض الرأي الأرثوذكسي تجاه المشكلة التي سادت على الذين تصوروا أن لله هيئة

1- H. Von Compenhousen, the fathers of the Greek Church, London 1963, P. 162.

٢- هذا العمل ليس له أي علاقة بالنظم العقيدية التي ظهرت فيما بعد في اللاهوت المدرسي. هناك أيضاً تشابهات قليلة بين هذا العمل وأعمال آباء آخرين جمعت ودونت التعليم العقيدي للكنيسة مثل: المبادئ لأوريجينوس، وعظات القديس كيرلس الأورشليمي. الاختلاف الأساسي بين هذا العمل وهذه الأعمال ليس مصدره المحتوى الذي هو تقريباً مشترك، بل بالحري في بنية هذه الأعمال التي تعتمد على سبب كتابة العمل. لقد انطلق القديس كيرلس بهدف تفنيد آراء مجموعة معينة ولم يكن يهدف لعرض الإيمان الأرثوذكسي بطريقة نظامية. لذلك الفصول الأولى خُصصت لموضوع الأنثروبومورفيسموس التي اهتم بها القديس كيرلس اهتماماً مباشراً.

بشرية، بإعطاء الله صفات وأشكال وأنواع بشرية بسبب خلق الإنسان «بحسب صورة الله».

تحليل الموقف المحدد للأنثروبومورفيتون ورَدْ القديس كيرلس يغطي الرسالة إلى كالوسيريون والفصول ١، ٢، ٣، ٤، ٥، ٦، ١٠، ١٧[1]، التي تمثل **الوحدة الأولى** للنص.

يعتمد القديس كيرلس في هذه الوحدة على التفسير المستقيم للشواهد الكتابية مفنداً بسهولة موقف الأنثروبومورفيسموس ويبرهن بطريقة نظامية كيف أن الله هو روح وبالتالي هو خارج أي شيء يصف طبيعة الأجساد. إذن طالما هو غير جسدي، فالتشابه معه ليس هو تشابه جسدي بل روحي. بالتالي عبارة « بحسب الصورة» لا تشير إلى «شكل الجسد» بل إلى « النوعية الروحية» التي هي التصور المقدس للمسيح في البشر: « يَا أَوْلاَدِي الَّذِينَ أَتَمَخَّضُ بِكُمْ أَيْضاً إِلَى أَنْ يَتَصَوَّرَ الْمَسِيحُ فِيكُمْ « (غلا٤: ١٩).

الوحدة الثانية للنص تغطي مجال الخريستولوجية، تتكون من الفصول ١٠، ١١، ١٤، ١٥، ١٨، ١٩، ٢٠، ٢١، ٢٢، ٢٣، ٢٤، ٢٦، ٢٧، ٢٨. مساهمة كيرلس العظيمة في صياغة العقيدة الخريستولوجية، التي قادت إلى ربط إسمه المباشر بهذا العمل، تشرح كمال إجاباته ووضوحها ودقتها في نطاق صغير نسبياً. يوجز كيرلس العقيدة الخريستولوجية الأرثوذكسية مشدداً على اتحاد الطبيعتين (اللاهوت والناسوت) في شخص المسيح ومؤكداً على كمال الطبيعة البشرية للكلمة. إلتف بهذه الطريقة ضد الهرطقتين الكبيرتين: النسطورية والأبوليناريوسية، لقد واجه الأولى في الوقت الذي كتب فيه عمله « ضد الذين يتصورون أن لله هيئة بشرية»، وفي نفس الوقت أظهر النتائج الحقيقية للإتحاد الأقنومي (على سبيل المثال تبادل الخواص، مصطلح والدة الإله للعذراء مريم.. الخ)، والخطر الناشئ من سوء تفسير الإيمان والحياة الأرثوذكسية.

١- الفصل السابع عشر يبدو من أول وهلة كما لو أنه ليس على علاقة بالموضوع الأساسي لهذه الوحدة، لكن الدراسة المتأنية تُظهر أن موضوع الفصل هو في مشكلة الأنثروبومورفيسموس. وهنا يُفرَض سؤال علاقة الأرواح بالنوعية الجسدية للبشر.

الوحدة الثالثة للنص تتكون من الفصول ٦، ١٤، ١٨، ١٩، ٢١. فحص العقيدة الثالوثية هو التوجه الواضح في هذه الحالة. تحدث بالتالي عن مواضيع تصف علاقة أقانيم الثالوث القدوس في إطار نقاشة لمسائل خاصة مثل توضيح مصطلح آب، وخلق الإنسان بحسب صورة الابن. وفي نفس الوقت أدل على الاختلاف الشاسع بين المخلوق وغير المخلوق وبالتالي على ضعف الإنسان على تخطي طبيعته.

الوحدة الرابعة تتكون من الفصول ٧، ٩، ١٢، ١٦، ٢٥ التي تهتم بموضوعات كنسية. حُددت الكنيسة الأرثوذكسية والجامعة في هذه الوحدة كمكان إتمام سر الإفخارستيا. أيضاً واجه مسألة القيامة العامة وشدد على أنها لم تحدث بعد، بل ستحدث « في أواخر الأزمنة» عندئذٍ، كل الذين أثناء حياتهم الحاضرة اقتنوا عربون الروح سوف ينالوا ملئه الذي سوف يؤّمن الذهن والقلب برؤية الصلاح،أي سوف ينقادوا تجاه معاينة الله.

إن وجود بعض الفصول في أكثر من وحدة يرجع إلى صعوبة استقلال بعض المواضيع، على سبيل المثال انفصال الخريستولوجية عن الحديث عن الثالوث القدوس حيث في التعليم اللاهوتي الأرثوذكسي وبالحري في تعليم القديس كيرلس، الحديث عن التدبير οἰκονομία يرتبط بالحديث عن اللاهوت θεολογία[1]. تغيير أي حقيقة من العقيدة الخريستولوجية يقود أيضاً إلى تغيير في عقيدة الثالوث، والعكس صحيح.

الجدير بالذكر أن القديس كيرلس لم يظهر في هذا العمل كأول كاتب يكتب في موضوع: «تصور الله أن له هيئة بشرية الأنثربومورفيسموس»، بل بالحري كمُعّبر عن التقليد الكتابي والآبائي في مجمله. ثقته وجُرأته أثناء كرازته نابعة من نبوات الأنبياء وكرازة الرسل وغني الآباء.

الأسبقية ἡ πρωτοτυπία بالنسبة لتعليم الكنيسة العقيدي لا تنحصر في تقديم آراء جديدة، بل في طريقة القبول الشخصي وترويج الآراء الأرثوذكسية. كان يستخدم

1- Χ. Α. Σταμούλη Ἡ θεοτόκος, σ. 496-497. Ν. Ματσούκα, Δογματική καί Συμβολική θεολογία Β: Ἔκθεση τῆς ὀρθόδοξης πίστης, θεσσαλονίκη 1985, σ. 81.

القديس كيرلس اللهجة الأتيكية حيث كان يعرفها جيداً والفضل يرجع إلى دراساته الأولى للغة اليونانية. لقد حرص خاله البابا ثيوفيلوس على أن ينال كيرلس تعليماً لاهوتياً كاملاً وثقافة كلاسيكية. لذا اختار له أفضل معلمين في الأدب[1].

يوجد مخطوط في مكتبة القبر المقدس في أورشليم[2] يقدم لنا إتقان القديس كيرلس لليونانية واللاتينية في شكل دروس تمهيدية لدخوله في الكتابات الإلهية.

لقد اعتبر القديس كيرلس أقوال اليونانيين تمرين إعدادي للتربية الحقيقية[3]. لقد كان يعتبر اللغة وسيلة وليست هدف في حد ذاته. الذي كان يهتم به القديس كيرلس هو التربية الفاضلة من خلال الكتابات المقدسة الموحى بها من الله التي تحتوي على الاستفادة الروحية. فاللغة لا يمكن بمفردها أن تقود إلى شركة الحق[4].

الترجمة العربية الحالية :

تمت ترجمة هذا الكتاب عن النص اليوناني المنشور في مجموعة آباء الكنيسة اليونانية (ΕΠΕ) الصادرة في تسالونيكي ١٩٧٣. المجلد رقم ١٣ ص ٨ــ٨٢.

كما أننا رجعنا بشكل أساسي لهذا النص:

Χρυσοστόμου Α. Σταμούλη, Κυρίλλου Αλεξανδρείας κατά ἀνθρωπομαρφιτῶν. πρόλογος πρωτ. Γεωργίου Δ. Δράγα. Δρ. Θ. καθηγητή πανεπιστημίου Αγγλίας. Μετάφραση Γεωργίας ροδινοῦ φιλολόγου. Χρυσοστόμου Σταμούλη. Δρ. Θ.. Ἐκδόσεις «το παλίμψηστον» Θεσσαλονίκη 1993.

1- F. M. Abel, Saknt Chrille d`Alexandrie dons ses rapports avec la Palestine, Kyrillama,P. 209.

٢- هذا المخطوط نُشر في مجلة صهيون الجديدة:
Νέα Σιών 17 (1922), σ. 593 εξ. وأنظر H. F. Houdek, Contemplation, P. 7.

3- Κυρίλλου Αλεξανδρείας, Ὑπὲρ τῆς τῶν Χριστιανῶν εὐαγοῦς θρησκείας πρός τά τοῦ ἐν ἀθèοις Ἰουλιανοῦ 7, PG76, 857D-860A.

4- Κυρίλλου Αλεξανδρείας, Ὑπὲρ τῆς τῶν Χριστιανῶν εὐαγοῦς θρησκείας πρός τά τοῦ ἐν ἀθèοις Ἰουλιανοῦ 7, PG76, 841A.

وقد إستفدنا من المقدمة الدراسية الواردة في هذا الكتاب بكل مراجعها.

مصادر أخرى يمكن الرجوع إليها:

J. Aubert	Cyrilli Alexandrini Arciepiscopi opera. 6 Vols. Paris 1638.
G. M. Durand	Cyrilli d`Alexandrie Deux Dialogues Christologiques. Sources Chrétiennes. Vol. 97. Paris 1964.
-	Cyrilli d`Alexandrie Dialogues sur la trinite. τόμ. 1. Sources Chrétiennes. Vol.231. Paris 1975.
-	Cyrilli d`Alexandrie Dialogues sur la trinite. τόμ. 2. Sources Chrétiennes. Vol.237. Paris 1977.
J. D. Mansi	Sacrorum Conciliorum Nova et amplissima collrctio. Graz ^{2}1960-61.
J. P. Migne	S.P.N. Cyrilli Arciepiscopi Alexandrini Omnia quaet extand. Vol. 68-77. Patrologiae. Cursus Completus. Series Graeca. Paris 1857-1912.
P. E. Pusey	S.P.N. Cyrilli Arciepiscopi Alexandrini opera. Oxonii 1869-1877.
E. Schwartz	Acta Conciliorum Oecumenicorum. Berolini et Lipsiae 1927-1940.
Χρ. Ἀ. Σταμοὺλη	Κυρίλλου Ἀλεξανδρείας. Κατά ἀνθρωπομοφιτῶν (Ἀλεξανδρινοί Συγγραφεῖς 1). ἐχδ. «Τό παλίμψηστον». Θεσσαλονίκη 1993.

بعض المراجع الدراسية الواردة في المقدمة وتعليقات النص:

W. J. Burghardt The image of God in man according to Cyril of Alexandria (the Catholic University of American studies in Christian Antiquity. no 14). Washington 1957.

H. ,en Campenhaus The Fathers of the Greek Church. London 1963.

Dragas G. D.

- Ecclesiasticus. Orthodox Church Perspectives. Models and Icons. Darlington 1984.

- Cyril of Alexandria (375-444).New Dictionary of Theology. ἐχδ. S. B. Ferguson – D. F. Wright. IVP. 1988. σ.148-186.

F. H. Houdek Contemplation in the life and Works of Saint Cyril of Alexandria. Los Angeles 1979.

Ν. Ματσούχα Γένεσις καί οὐσία τοῦ Ὀρθοδόξου δόγματος ΑΒ2. Θεσσαλονίκη 1969.

- Ὀρθοδόξου καί Αἵρεση κατά τούς ἐκκλησιαστικούς ἱστορικούς τοῦ τέταρτου. πέμπτοθ καί ἕχτου αἰώνα (ΕΕΘΣΑΠΘ. παρ ἀπ 29 τοῦ 26 ου τόμου). Θεσσαλονίκη 1981.

- Δογματική καί συμβολική Θεολογία Β. Ἔχθεση τῆς ὀρθόδοξης πίστης. Θεσσαλονίκη 1985.

Χ. Σταμούλη Ἀ. Θεοτόκος κατά τόν ἅγιο Κύριλλο Ἀλεξανδρείας (Ἀνάτυπο ἀπό τά Πρακτικά τοῦ Γ΄Θεολογικοῦ Συνεδπίου τῆς Ἱερᾶς Μητροπόλεως Θεσσαλονίκη εἰς τιμήν τῆς Ὑπεραγίας Θεοτόκου καί ἀειπαεθένου Μαρίας). Θεσσαλονίκη 1991. σ. 387-533.

- Θεοτόκος καί ὀρθόδοξο δόγμα. Σπουδή στή διδασκαλία τοῦ Ἁγίου Κύριλλο Ἀλεξανδρείας (ΛΑ1). Θεσσαλονίκη 1996.

- Ἑλληνική Πατρολογία 4. Θεσσαλονίκη 198 .

M. L. Duchésne Early history of the Christian Church from its foundation to the end of the fifth century 3. (transl C. Jenkins). London 1938.

M. Geerard Christianorum Clavis Patrum Graecorum III. Brepols – Turnhout 1979. στ. 5200-5438.

C. H. Graef L. image de Dieu et la structure del'âme chez les Péres grecs. la Vie Spirituelle (supplement) 22 (1952). 331-339.

A. Kerrigan St Cyril of Alexandria interpreter of the old Testament. Rome 1952.

Κ. Κορναράχη Ἡ θεολογία τῶν ἱερῶν εἰχόνων κατά τόν ὅσιο Θεόδωρο τό Στουδὶτη (διδαχτοριχή διατριβή). Ἀθήνα 1992.

J. J. Lunch πρόσωπον and Dodma of the Trinity. A Study of the background of conciliar use the word in the writings of Cyril of Alexandria and Leontius of Byzatium. New York 1974.

Γ. Μαρτζέλου Γένεση καὶ πηγές τοῦ ὅρου τῆς Χαλκηδόνας. Θες/νίκη 1986.

Π. Μπρατσώτοθ Τό Γενέσεως Α΄26. Ὀρθοδοξία 27 (1952), 359-372.

H. Munier Le lieu de la naissance de saint Cyrille d` Alexandrie. Kyrilliana: Spicilegia edita sancti Cyrilli Alexandrini XV recurrente saeculo. Cairo 1947.

C. J. Neuman Juliani imperatoris Libroum contra Christianos quae supersunt. Lipsiae 1880.

Χ. Παπαδοπούλου Ὁ ἅγιος Κύριλλος Ἀλεκανδρείας. Ἀλεξάνδρεια 1933.

J. Quasten Patrology. 4 τόμ., Westminster – Maryland 1983.

W. – Smith H. Wace A Dictionary of Christian Biography and Literature. London 1911.

Chr. A. Stamoulis The term theotocos accordin to Saint Cyril of Alexandria. Γρηγόριος Παλαμᾶς 737 (1991), 299-308.

Δ. Τσελεγγίση Ἡ Θεολογία τῆς εἰκόνας καὶ ἡ ἀνθρωπολογι. κή σημασία της. Θες/νίκη 1984.

الإختصارات:

ΕΕΘΣΑΠΘ Ἐπιστημονική Ἐπετηρίς Θεολογικῆς Σχολῆς Ἀριστοτελείου Θεσσαλονίκη. Θεσσαλονίκη 1953 ἑξ.

ΕΠΕ Ἕλληνες Πατέρις τῆς Ἐκκλησίας. Πατερικαί ἐκδόσεις. «Γρηγόριος ὁ Παλαμᾶς». Θεσσαλονίκη 1972 ἑξ.

ΘΗΕ Θρησκευτική καί ἠθική ἐγκυκλοπαιδεία. Ἀθῆναι 1962- 1968.

PG	Patrologiae Cursus completes. Series Graeca. Paris 1857-1866. ἔχδ. J. P. Mige.
PL	Patrologiae Cursus completes. Series Latina. Paris 1844-1864. ἔχδ. J. P. Mige.
Pusey	S.P.N. Cyrilli Arciepiskopi Alexandrrini opera. Oxonii 1869-1877. ἔχδ. P. E. Pusey.
SC	Sources Chretiennes. Les Edition du Cref. BD De Latour MAUBOURG. Paris.
StPat	Studia Patristica. Berlin 1957 ἑξ.

لأبينا القديس كيرلس رئيس أساقفة الإسكندرية
ضد الذين يتصورون أن لله هيئة بشرية
ΚΑΤΑ ΑΝΘΡΩΠΟΜΟΡΦΙΤΩΝ

رسالة إلى كالوسيريون
Επιστολή πρός Καλοσίριον

حين أتى بعض الأشخاص من جبل القلمون، سألتهم عن رهبان هذا المكان، وبأي طريقةٍ يحيون، وأي أُسُسٍ تُتبع في حياتهم النُسكية. وقد أجابني أولئك بأن الكثيرين من هؤلاء يتقدمون في حياتهم النُسكية ويتميزون بالرغبة الشديدة في تحقيق حياة تليق بالرهبان. لكنهم أخبروني بأن هناك بعض الذين يسلكون بطريقة عشوائية، وبجهلهم يزعجون أولئك الذين يرغبون في السكينة.

هؤلاء -بثقةٍ زائدةٍ- يعلّمون بأشياء لا وجود لها. ينادون بأن الكتاب طالما يقول إن الإنسان خُلِق بحسب صورة الله، إذن ينبغي أن نؤمن بأن العنصر الإلهي το θεῖο ἀνθρωπόμορφον هو من النوع البشري، أي ذو شكل بشري وهذا هو الغباء بعينه، ويمكن أن يخدع ويجلب لهؤلاء الذين ينادون بهذا الرأي، انحرافات عدم التقوى.

نحن نقبل جميعنا -بدون أي اعتراض- خلق الإنسان بحسب صورة الله[1]. لكن

١- بخصوص تك ١: ٢٧: «خلق الله الإنسان على صورة الله خلقه»، يتسائل العلامه أوريجينوس في شرحه لسفر التكوين عن ما هي صورة الله؟ أو ما هو المثال الذي خُلق عليه الإنسان؟ يجيب العلامه أوريجينوس قائلاً: «ما هي الصورة أو الصور الأخرى لله التي بحسب مثالها، أي مثال هذه الصورة خُلق الإنسان، إلا صورة مخلصنا الذي هو «بكر كل خليقة» (كو ١: ٢٧) المكتوب عنه «بهاء النور الأزلي ورسم جوهر الله» (عب ١: ٣). الذي يقول أيضاً عن نفسه: «أنا في الآب والآب فيّ» و «مَن رآني فقد رأي الآب»؟ (يو ١٤: ٩، ١٠). هكذا نرى الله من خلال **كلمته** الذي هو صورة الآب».
The Father of the Church, Orign. Homilies on Genesis and Exodus. Translated by Ronald E. Heime, Volume 71, p 65

هذا التشابه ليس جسدياً ؛ لأن الله هو غير جسدي. وهذا ما عَلّمَهُ المخلص نفسه حين قال: «الله روح» (يو ٤: ٢٤)[١]. بالتالي الله ليس جسدياً. وبما أنه روح، إذن فهو لا يحمل شكلاً جسدياً؛ لأن هذا الذي لا يشترك في الجسد، لا يشترك أيضاً في الشكل. فالعنصر الإلهي حقاً لا علاقة له لا بالكم، ولا بالشكل[٢].

ولو افترضنا أننا نؤمن بأن الله ذاته، الخالق والذي يسود على كل شيء، قد شُكّلَ بحسب الجسد البشري، فليتهم يقولون لنا: هل لدى الله أرجلٌ لكي يمشي بها وأيدي لكي يعمل بها، وأعين لكي يرى؟ أين يذهب بحسب رأيهم؟ ومن أين ينطلق لكي يذهب، ذاك الذي يملأ كل مكان بحضوره؟ لقد قال قولاً معروفاً للجميع: «إِذَا اخْتَبَأَ إِنْسَانٌ فِي أَمَاكِنَ مُسْتَتِرَةٍ أَفَمَا أَرَاهُ أَنَا، يَقُولُ الرَّبُّ؟ أَمَا أَمْلأُ أَنَا السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ، يَقُولُ الرَّبُّ؟» (إر ٢٣: ٢٤). أيُ يدٍ تتحرك للعمل،

١- عَلَقَ أيضاً القديس كيرلس وهو يفسر هذه الآية قائلاً: «الله يُعرَف بأنه روح، بالمقارنة بالطبيعة الجسدية » شرح إنجيل يوحنا، المجلد الأول، الأصحاح الرابع، ترجمة د. نصحي عبد الشهيد وآخرون، المركز الأرثوذكسي للدراسات الآبائية بالقاهرة ٢٠٠٩م، ص ٢٣٨

٢- بخصوص خلق الإنسان على صورة الله ومثاله (انظر تك ١:٢٧)، يؤكد العلامه أوريجينوس في شرحه لسفر التكوين أن «على صورة الله» لا تنسحب على الجسد لأن هيئة الجسد لا تحوى صورة الله، ولا يُقال إن الإنسان الجسداني - كما يقول العلامه أوريجينوس - «معمول»، بل «قد تم تصويره»، «وصوَّر الله الإنسان»، أي صاغه وشكله «من آدم الأرض» (تك ٢:٧). ويشدد على تلك الأمور، قائلاً: [إنه إنساننا الداخلي، غير المنظور، غير الجسداني، غير الفاسد غير المائت هو المخلوق «على صورة الله» لأنه بهذه الخصائص نفهم بطريقة أفضل هذه الصورة الإلهية وبطريقة أصح]. والمشكلة عنده أن يفكر المرء أن المخلوق «على صورة الله» هو الجسد، وبهذا يُظهر الله ذاته كأنه مجبول من جسد وشكل بشري. وهذا - بحسب رأيه - ضد التقوى أن نفكر هكذا عن الله. ويسخر أوريجينوس من الجسدانيين الذين لا يملكون فهماً للمعنى الذي يقصده اللاهوت ويضرب مثالاً من أشعياء: «السماء كرسيّ، والأرض موطيء قدميّ» (أش ٦٦:١)، حيث يفهم هؤلاء أن الله له جسد شاسع وهو يجلس في السماء أو على السماء كلها، ويبسط قدميه على الأرض. ومشكلتهم -بحسب أوريجينوس- أنهم لا يملكون تلك الأذان التي تستحق أن تسمع كلمات الله عن الله. لأن عبارة «السماء كرسيّ» تعني ان الله يستريح ويقيم أو يسكن في أولئك الذين «سيرتهم أو مواطنتهم هي في السماء» (في ٣: ٢٠) أما أولئك الذين لا يزالون قابعين في الأرضيات وتفاصيلها الأرضية، فإنهم -بحسب أوريجينوس- هم بعيدين كل البُعد عن عنايته الإلهية بهم والتي يُشار إليها رمزياً بموطيء قدميه على الأرض وهناك فرصة متاحة لهؤلاء بأن يكونوا سماويين وذلك بكمال الحياة والرفعة والسمو في الفهم، ليصبحوا عروشاً لله هم انفسهم، هكذا يحدث هذا بالجهاد الروحي وأسلوب الحياة. هؤلاء يستطيعون أن يقولوا: «لقد أقامنا مع المسيح وأجلسنا أيضاً معه في السماويات» (أف ٢:٦)، ولكن أيضاً أولئك الذين كترهم في السماء (مت ٦:٢٠، ٩:٢١). يمكن القول عنهم أنهم عروش سماوية لله لأنه «حيث يكون كترهم، هناك تكون قلوبهم» (مت ٦:٢١). ولا يرتاح الله فقط فيهم، بل هو يسكن فيهم أيضاً.

The Father of the Church, Orign. Homilies on Genesis and Exodus. Translated by Ronald E. Heime., Volume 71, p64-65

لهذا الذي يخلق **بالكلمة**؟[1] ولو كانت له أعين موجودة في وجهه، فهل لا يرى ما هو موجودٌ خلفه، وعندما يرى تجاه الشرق، هل لا يعرف ماذا يصنعون في الغرب؟ ولو كان يحدِّق ببصره تجاه الغرب، فهل لا يرى هؤلاء الذين يسكنون في الشرق؟[2]

هذه الأمور أكتبها وأنا خَجِلٌ، لكن بسبب انحراف البعض، صرت أنا بلا تعقل، طبعاً ليس بإرادتي[3]، بل بالحري مجبراً بسبب هؤلاء. ليت الذين يتفوهون -إذن- بهذه الأمور السخيفة لكونهم جهلاء، يغلقون أفواههم، وليتهم لا يتناولون مواضيع تتخطى قدراتهم. ليتهم يبقون في هدوء، غير منجذبين لأقوال عدم التقوى التي تسيء إلى الله ذاته. لأن الله هو أسمى من كل الخليقة[4]، لا يُدرك لا بالجسد ولا بنماذج أو أشكال جسدية، بل هو بسيطٌ وغير مادي، وبدون شكل، وغير مركّبٍ، ولا يتكون من أجزاء أو أعضاء مختلفة مثلنا. الله هو روحٌ وفق الكتب المقدسة، حيث يرى كل شيء، ويوجد في كلّ مكان، ويملأ الكل، ولا ينقصه شيء، لأنه يملأ بحضوره السماء والأرض.

لكن حقيقة أن الإنسان قد خُلِق بحسب صورة الله، تعلن وتدل على شيء

١- سبق للقديس أثناسيوس التأكيد على أن الله يخلق **بالكلمة**، إذ يقول في رسائله عن الروح القدس إلى الأسقف سرابيون: [فالآب **بالكلمة** في الروح القدس يعمل كل الأشياء، وهكذا تُحفظ وحدة الثالوث القدوس سالمة. وهكذا يُكرز بإله واحد في الكنيسة «الذي على الكل وبالكل وفي الكل» (أف ٤:٦). «على الكل» كأب، وكبدء، وكينبوع، «وبالكل» أي **بالكلمة**. «وفي الكل» أي في الروح القدس، هو ثالوث ليس فقط بالاسم وصيغة الكلام بل بالحق والوجود الفعلي]. رسائل عن الروح القدس إلى الأسقف سرابيون، ترجمة د. موريس تاوضروس ود. نصحي عبد الشهيد، مركز دراسات الآباء، القاهرة١٩٩٤، الرسالة الأولى: ٢٨ ص٨٣.

٢- واضح أن استخدام السخرية من جانب القديس كيرلس، هدفه المباشر هو التربية بواسطة تعرية مبررات خصمه. وهذه الطريقة معتادة عند القديس كيرلس وكذلك آباء الكنيسة وكُتابها، أنظر:
Χ. Α. Σταμούλη, Ἡ θεοτοκος, σ 501, παρ. 30.
Δ.Τσάμη,Εἰσαγωγήστήνπατερικήσκέψη,θες/νίκη1990,σ.423-.446

٣- وفق القديس كيرلس، التعليم اللاهوتي لآباء الكنيسة ليس هو نتيجة استعراض لمعلومات منطقية أو تعليم لمجرد التعليم، بل هو للحفاظ على الإيمان المستقيم. لأجل هذا، يواجه القديس كيرلس هنا مشاكل لاهوتية سبق وأرسلها له البعض لكي يبدي رأيه فيها حفاظاً على الإيمان المستقيم.

٤- التمييز بين غير المخلوق والمخلوق هو المبدأ الأساسي الذي نجده في كل تعاليم الآباء. وهنا أتباع مذهب «أن الله له هيئة بشرية» يرفضون هذا التمييز ويحصرون الألوهية غير المخلوقة في حدود الإنسان المخلوق، أنظر:
F. H. Houdek, Contemplation, σ. 272 ἑξ.

آخر[1]، هو أن الإنسان فقط دون كل الكائنات الحية على الأرض مزودٌ بالعقل، وإنه محبٌ للرأفة ومدعوٌ للميل تجاه كل فضيلة، وأخذ سلطاناً بأن يسود على كل الكائنات التي تحيا على الأرض، بسبب (نعمة الخلق) بحسب صورة الله. بالتالي، الإنسان هو منظومة حية لديه موهبة العقل، محبٌ للفضيلة ويسود على كل كائنات الأرض، إذ خُلق بحسب صورة الله. لكن لو كانوا يعتقدون بأن كلمة "صورة εἰκόνα" تشير إلى شكل الجسد، عندئذٍ لا يمنعنا شيء من أن نتساءل كيف يكون لله ذات شكل الحيوانات غير العاقلة؟ لأننا نرى أنها تتكون من نفس الأجزاء التي نتكون منها، فلديها أرجل وأعين وأنف ولسان وكل الأعضاء الجسدية الأخرى[2]. لكن ليت تقواك تُوقف هؤلاء الناس، أو بالحرى توبخ أولئك الذين اعتادوا على مثل هذه الثرثرات.

علمت أيضاً أن البعض يزعمون أن البركة السرائرية (الإفخارستيا الإلهية) تفقد القدرة على التقديس لو أن جزءً منها بقى ليوم آخر[3]. يتحدثون بهذيان أولئك الذين يتفوهون بمثل هذه الأقوال. لأن المسيح لا يتغير، ولا جسده المقدس

١- انشغل الفكر الآبائي في مجمله بشرح خلق الإنسان «بحسب صورة الله» والتفسيرات التي أُعطيت هي تفسيرات متنوعة وليست متناقضة. هناك آباء حصروا «بحسب الصورة» في وظيفة النفس الذهنية وحريتها (على سبيل المثال: العلامة أوريجينوس، أثناسيوس الرسولي، غريغوريوس النيصي، كليمنضس الأسكندري). آخرون يعتبرون «بحسب الصورة» تخص كل الإنسان (على سبيل المثال (غريغوريوس النيصي). لكن كل الآباء يقرون بالوحدة النفسية والجسدية للإنسان والتي تمثل مؤشراً لاتجاههم. بالتالي القديس كيرلس يعلن أن الإنسان هو وجودٌ واحد لا يتجزأ يتكون من عنصرين مختلفين: الجسد والنفس. وتفوُّق النفس مقابل الجسد لا يلغي الوحدة الوجودية طالما أن الإنسان يتحرك تجاه كماله بالإثنين معاً. لذلك يصف القديس كيرلس «كل الإنسان» بأنه «بحسب صورة الله». وتشديد القديس كيرلس على أن «بحسب الصورة» يخص النفس، نابعٌ من أنه يخاطب أتباع مذهب «أن لله هيئة بشرية» الجهلاء الذين حصروا «بحسب الصورة» في الجسد مبطلين بذلك الإختلاف الجوهري بين غير المخلوق والمخلوق. أنظر:
W.J. Burghardt, the image of God according st. Cyril of Alexandria, Washington 1957.

٢- الكلام هنا عن مبرر منطقي من جانب القديس كيرلس يبرهن على أنه لو كانت «بحسب الصورة» تخص فقط طبيعة الأجساد، عندئذ لن يكون لله هيئة بشرية فقط، بل أيضاً له هيئة حيوانية، حيث أن الاختلاف الجوهري الوحيد بين الإنسان والحيوان ينحصر في النفس العاقلة وليس في الجسد، أنظر:
C. Dratsellas, Man in his origimal state and in the stste of sin according tosto Cyril of Alexandria, Αθήνα 1971, σ.18.

٣- حفظ بقايا خبز الأحد المقدس ليوم آخر يمثل عادةً كانت معروفةً في الكنيسة الأولى. واتّبع كثيرون من المتوحدين هذه العادة، هؤلاء الذين لم تكن عندهم إمكانية الحضور الدائم لقداس الإفخارستيا، أنظر:
Ιωάν. Μ. Φουντούλη, κείμενα Λειτουπγικης, τεῦχος Γ, θεία Λειτουργία, θες/νίκη, 1985, σελ. 149 ἑξ

يتغير، بل تظل قوة وقدرة البركة والنعمة المُحيِّية دائماً بلا انقطاع فيه.

كذلك أخبروني أن البعض الآخر[1] ينشغل فقط بالصلاة، ولا يعملون أبداً، إنما يستخدمون تقواهم حجةً لخمولهم، ووسيلةً لتأمين الخيرات المعيشية الضرورية. غير أنهم ليسوا على حق؛ لأنهم -بهذه الطريقة- يعتبرون ذواتهم أسمى أيضاً من الرسل القديسين الذين كانوا يعملون، حين تحين الفرصة للعمل، في الوقت الذي كانوا فيه يتعبون لأجل نشر كلمة الله. فكيف استطاع أولئك أن ينسوا بولس الطوباوي الذي كتب لأناس قائلاً: «لأَنَّنَا نَسْمَعُ أَنَّ قَوْماً يَسْلُكُونَ بَيْنَكُمْ بِلاَ تَرْتِيبٍ، لاَ يَشْتَغِلُونَ شَيْئاً بَلْ هُمْ فُضُولِيُّونَ» (٢ تس ٣: ١١).

بالتالي، لا تقبل الكنيسة[2] أولئك الذين يعملون بهذه الطريقة.

بدون شك، يحتاج أولئك الذين ينجذبون لحياة النُسّاك الهادئة، لأن يصلُّون بغيره شديدة جداً، لكن الصلاة لا تقف عائقاً أبداً. فالعمل مفيدٌ جداً حتى لا يصير أولئك بمثابة ثقل على الآخرين، مستغلين شقاءهم لحسابهم. بالعمل يستطيعون أن يحموا الأرامل والأيتام وأن يساعدوا، ببذل الجهد والتعب، الفقراء والتعساء من إخوتهم. لكنهم لو اعتبروا أن الابتعاد عن أي نوع من العمل أمرٌ حسن، حينئذٍ يقلدهم الجميع في موقفهم هذا، وعند ذاك مَنْ يمكنه أن يطعمهم؟ البعض يبررون خمولهم وشراهتهم قائلين أنه يجب أن ينشغلوا فقط بالصلاة ويكفُّوا تماماً عن العمل.

١- ظهرت هذه المجموعات أيضاً في الغرب المسيحي في نفس الفترة. وقد كتب القديس أغسطينوس ضدهم عمله:

De opera monachorum SCEL XLI, 529 ἐξ. OG. Follirt, Desmoines euchites á carthage en 400- 401, St Pat II, P. 386. G. B. Lander, the idea of Reform, Canbrige – Massachusetts 1959, P. 362.

٢- واضح في نطاق الرهبنة الشرقية، أن العمل لا يكون في تضاد مع الصلاة. بل على النقيض يمثل سلاحاً ضد البطالة والفراغ اللذان يقودان إلى هلاك النفس. ويُستخدم أيضاً لممارسة المحبة وتأمين الإحتياجات الضرورية، انظر:

Τρίκκης καὶ Σταγῶν, Ανατολικός ὀρθόδοξος μοναχισμός κατά τα πατερικά κείμενα, Αθήνα 1969, σ. 288 ἐξ. Γ. Μαντζαρίδη, Κοινωνιολογία τοῦ Χριστιανισμοῦ θεσ/νίκη 1985, σ. 219 ἐξ

لا تسمح أيضاً بأن يجتمع الأرثوذكس مع أتباع ميليتوس[1] حتى لا يشاركوهم في عصيانهم. لكن لو أتى أولئك تائبين إلى الأرثوذكس، ليتك تقبلهم. لكن لا يظل أحد غير مبالٍ أمام الخطر، وليت لا تكون له علاقات معهم، لو لم يتوبوا، حتى لا يصير، كما قلت منذ قليل، مشاركاً لضلالهم.

ليت تقواكم تحرصون على حفظ هذه الأمور لتلك الأديرة لكي يتثبت الإيمان في كل ما ذكرته. ولتحثهم على حفظها حتى لا ينخدع الأرثوذكس ويسقطون بسبب الخمول والكسل الذهني[2]، وكذلك لكي لا يكون لأولئك الذين يريدون أن يأكلوا بدون أن يعملوا، انطباعٌ بأنهم مفيدون. أيها الأخ المحبوب أتمنى بنعمة الرب أن تكون في أحسن حال.

١- ميليتوس ليكوبوليوس Μελιτιος Λυκοπόλεως أسقف أسيوط، تورط في مشكلة الساقطين «- π πτωκότων» وتعارك مع بطرس الأسكندري وعقد الآخير مجمعاً سنة 307م حرم فيه ميليتوس، الذي انشق بعد ذلك سنة 311م وأنشأ مجموعة منشقة تُدعى الميليتيون. ثم بعد ذلك انضموا إلى الآريوسيين وسببوا آلاماً كثيرة للكنيسة حتى القرن الثامن، أنظر:
Χ. παπαδοπούλου, Ἱστορία τῆς Ἐκκλησίας Ἀλεξανδρείας, σ.150 ἐξ. H.I. Bell, Jews and Christiansin Egypt, London, 1924, P. 38.
وجود الرهبان الميليتانيين في جبل القلمون نعرفه من أقوال الأب سيشوي أنظر:
Δ. Τσάμη, τό Γεροντικόν τοῦ Σινοῖ, σ. 256

٢- يقول القديس يوحنا ذهبي الفم عن الرخاوة والكسل: «إن عدم إرادة فعل الصلاح هو جزء من فعل الشر، لأن عدم فعل الصلاح هو نتيجة للخمول والكسل، ومن ناحية أخرى فإن الخمول هو جزء من الشر، وربما ليس هو جزء من الشر، بل هو الأساس والجذر الشرير، لأن الخمول يعلمنا كل شر» تفسير الرسالة إلى أفسس، ترجمة د. سعيد حكيم يعقوب، مراجعة د. جورج عوض إبراهيم، المركز الأرثوذوكسي للدراسات الآبائية ٢٠١٢م، ص ٢٣٧.

الفصل الأول

حين يذكر الكتاب المقدس أن لله أيدي، وأرجل، وأعين، ينبغي علينا حينئذٍ أن ندرك تماماً أن الله ليس مثل البشر له عضو جسدي، لأنه هو غير جسدي.

الذين يتمتعون بعقلٍ سليم، ويتناولون الأقوال الخاصة بأسرار الألوهية التي لا توصف، يرون أنها لا علاقة لها بالمخلوق، بل تسمو أيضاً فوق أي ذهنٍ يقظ، وهي أسمى من أي تخيلات جسدية، كما يقول بولس كُلي الحكمة: ''ساكناً في نور لا يُدنى منه''. فإذا كان النور الذي يحيط بالألوهية لا يُدنى منه، فكيف يمكن لأحد أن يصف هذه الألوهية؟

فنحن نرى ''في مرآة، في لغز لكن حينئذٍ وجهاً لوجه'' (١ كو ١٣: ١٢). بالتالي، العنصر الإلهي ليس جسدياً حتى يمكن وصفه، فلا كَمَّ له ولا حجم ولا شكل يمكن لأحدٍ أن يصفه. إذن، فالإلهي الذي يُدرَك هكذا -من طبيعته كما شرحنا- كيف نقول عنه إنه يتكون من أجزاء وأعضاء؟ لأنه لو كان أحدٌ يعتقد -عن حقٍ- أن الإلوهية تتكون من أجزاء، عندئذٍ لا يستطيع بعد أن يعتبرها غير جسدية.

بالتالي، كل شيء له شكل، له أيضاً كمٌ، ويوجد في مكان. وذاك الذي يوجد في مكانٍ ما، يمكن بالطبع أن يُوصَف. لكن هذه هي خواص الأجساد، وهي غريبة تماماً عن الطبيعة غير الجسدية[1].

١- مشكلة الهراطقة — يقول القديس كيرلس — أنهم « يَجهلون تماماً ماهية الطبيعة غير الجسديّة وماهية طبيعة الأجسام وما هي التغيّرات التي تعانيها الأجساد. لأن ما لا جسم له هو غير قابل للتقسيم على الإطلاق، بمعنى أنه غير قابل للاشتقاق والتجزيء الذي يتناسب مع طبيعة الأشياء الماديّة الملموسة، أو لإمكانية أن يتأثر بأي شيء من هذه الأشياء». حوار حول الثالوث، مرجع سابق، الجزء الثالث، الحوار الرابع، ترجمة د. جوزيف موريس، ص ٧ - ٨.

بناءً على ذلك، لا الأعين، ولا الأُذن، ولا طبعاً الأيدي والأرجل ينبغي أن ننسبها لله، بل ولا حتى الأجنحة التي ربما لا يمكن للمرء أن يتخيلها في الأجساد المادية والسميكة[1]، وإن كان يقبلها في الأجساد الرقيقة وغير المادية مثل طبيعة الله. لأنه من الغباء أن يفكر أحد بمثل هذا التفكير. لأن الله هو روح (أنظر يو ٤: ٢٤)، وطالما هو روح، فهو يعرف كل شيء، ويشرف على كل شيء، ويعتني بكل شيء، لأنه لا شيء من كل الموجودات التي توجد غير معروف لديه.

لكن، حين يتحدث الكتاب المقدس عن أعضاء أو جُزيئات في نصوص تحدثنا عن الله، يجب أن ندرك أنه يحدثنا مستخدماً تلك الأقوال التي يحتويها ذهننا، وبالأشياء التي تكّون بها جسدنا أثناء الخلق. لأنه لم يكن من الممكن بطريقة أخرى (غير بشرية) أن ندرك الألوهية.

بناءً على ذلك، فالعِلة والسبب الحقيقي الذي جعل الكتاب المقدس يحدثنا عن الله بأقوال تخص الأعضاء الجسدية، هو ضعف عقلنا ولغتنا. بدون شك الأمور المتعلقة بالله هي أبعد من أن تُوصف. وبالتأكيد لا يمكننا أن ندرك الأمور الهامة عن الله، نحن الذين نحيا في أجساد مادية وسميكة، إلّا فقط، إذا قبِلنا أمثلة ونماذج تتناسب مع نوعية طبيعتنا. بمثل هذه الطريقة فقط، يكون لدينا المقدرة أن نرتفع نحو مفاهيم سامية عن الله[2].

١- المقصود بكلمة السميكة، أي المعتمة غير النورانية، وهو ملمحٌ لا يقتصر على الجسد فقط، بل يمتد لوظائف النفس، ومؤشرٌ على البشر العائشين بعد السقوط، حيث ألبسهم الله «الأقمصة الجلدية» التي تعبّر عن سماكة الإنسان العتيق، والتي أُحيط بها الإنسان كطبيعة ثانية له بعد السقوط، أنظر:
Π. Νέλλα, Ζῶον θεούμενον, σ. 45. F. H. Houdek, Contemplation, P. 124.

٢- الكلام هنا على الإستخدام السيء لتعبيرات الكتاب المقدس عن الهيئة البشرية والتي يميزها كيرلس عن الإستخدام البسيط. استخدامه هذا لم يُبطل الاختلاف الجوهري بين المخلوق وغير المخلوق، بل على النقيض يعطي إمكانية للمخلوق أن يعاين -بواسطة أمثلة محسوسة، وصور وظلال ورموز- نور الحق الذهني، أي نور الله غير المخلوق، أنظر:
F. Young, from Nicaea to Chalcedon, P. 249. A Kerrigan, st Cyril of Alexandria, Interpreter of old Testament, Rome 1952, P. 35. Γ. Φλορόφσκυ, Δημιουργία καὶ ἀπολύτρωση (μετφρ. Π. Κ. Πάλλη), Θεσ/νίκη 1983, σ. 24.

الفصل الثاني

إلى أولئك الذين يقولون إن النفس خُلِقت من نفخة الله كما خُلِق الجسد بيديه. وإلى أولئك الذين يؤكِّدون أن تلك النفخة صارت نفس الإنسان. وللآخرين الذين ينادون بأن الله بنفخته أعطى قدرة الحياة لكل الإنسان المخلوق، وأن هذه النفخة هي العقل، والذي يتميز عن النفس❖. كذلك أيضاً لأولئك الذين يزعمون أن هذا هو معنى «بحسب الصورة»، بمعني أن الإنسان يتكون من ثلاثة: الجسد والنفس والعقل في وحدة❖. وأيضاً ما إذا كانت هذه النفخة ملمحاً لجوهر الله، أم هي غريبةٌ عنه[1].

لا تتطلب المواضيع الدقيقة، ذات الأهمية الحيوية والتي لا نكون متمرنين عليها،

---

١ **مشكلة الخلط بين النفخة الإلهية والنفس سبق للقديس كيرلس أن واجهها في شرحه لإنجيل يوحنا ١٤: ٢٠ PG 74, 277 BC. يقول القديس كيرلس: «إذا إفترض أحدٌ أن النفخة الإلهية صارت نفساً، فليخبرنا هل هي تحولت عن طبيعتها الخاصة وصارت نفساً، أو أنها قد ظلت كما هي في طبيعتها؟ لأنهم إن قالوا إنها قد تغيرت وإنها تعدت قانون طبيعتها الخاصة، فإنهم سيكونون مجدفين؛ لأنهم بهذا يقولون إن الطبيعة التي لا تتحول والتي لا تقبل التغير إزلياً وإلى الأبد، قد صارت متغيرة؛ بينما لو أنها لم تتحول، بل ظلت دائماً كما كانت على الدوام، بعد خروجها من الله، أي النسمة الإلهية، فكيف انحرفت إلى الخطية، وصارت معرضة لهذا العدد الكبير من الشهوات؟ لأني أعتقد، أنهم لن يقولوا إن الطبيعة الإلهية توجد فيها قابلية للتعدي. ولكن لكي نقول الكلمات المناسبة للموضوع الذي أمامنا بدون الدخول في براهين طويلة، فإننا يجب أن نكرر مرة أخرى ونقول، لا يوجد أي إنسان ذو تفكير سليم، يمكن أن يفترض أن النسمة التي صدرت من الجوهر الإلهي صارت نفساً مخلوقة، بل إنه بعد أن صار للمخلوق نفس، أو بالحري بعد أن بلغ إلى كمال طبيعته بوجود النفس والجسد معاً، فإن الخالق طبع عليه ختم الروح القدس أي ختم طبيعته الخاصة، أي نسمة الحياة، والتي بواسطتها صار المخلوق مشكلاً بحسب الجمال الأصلي، واكتمل «على صورة ذاك الذي خلقه»، وهكذا وُهبت له الإمكانية لكل شكل من أشكال السمو، بفضل الروح الذي أعطي له ليسكن فيه « شرح إنجيل يوحنا، ترجمة د. نصحي عبد الشهيد، الجزء الثامن، نصوص آبائية رقم ١٣٤، ص ١٢٤ وما بعدها.

إضافة إلى ذلك، فإن التعليم عن التكوين الثلاثي للإنسان لا يلقى قبولاً لا في أنثروبولوجية بولس ولا كذلك عند أغلبية التعليم الآبائي الذي يقبل بالتكوين الثنائي للإنسان، أنظر:

Κυρίλλου Ἀλεξανδρείας, Ἐπιστολήν πρός Νεστόριον, PG77, 45B. Γρηγορίου Νύσσης, Ἀντιππητικός πρός τά Ἀ. Στομούλη, Ἡ τπιχοτομική ἀνθπωπολία τοῦ Ἀπολιναρίου Λαοδικείας. παλαιότερες ἀποψεις καί νέα ἐρευνητικά διδομένα, Γρηγόριος παλαμᾶς 741 (1992), σ. 275

صياغةً عقيديةً[1]، بل بالحري بحثاً منطقياً وتعبيراً شاقاً ومضنٍّ. لكن الواجب الضروري هو أن لا نسمح للحديث أن يسقط في مستويات لا تليق، بحيث يبتعد عن الحق.

مكتوبٌ حقاً: «إن كنتم تطلبون فأطلبوا» (أش ٢١: ١٢). كيف يمكن للمرء أن يناقش ويحلل أمراً لم تذكره بوضوح الكتب المقدسة؟ مثال: سفر التكوين كتب أن «في البدء خلق الله السموات والأرض» (تك ١: ١). إنَّ حَدَثَ الخلق ذكره الكتاب المقدس، ونحن بثقةٍ نقبل هذا الأمر كأمر حقيقي، لكنه فضولٌ ضارٌ أن يفحص المرء بالتفصيل كيف أو من أين أو بأية طريقةٍ اكتسبت السماء وجوداً، والأرض أيضاً، والمخلوقات الأخرى. ليس من الصواب أن يتسلل العقل البشري ليدخل في هذه الأمور العميقة والمخفيَّة. بالتالي كل ما لم يذكره الكتاب المقدس بوضوح، ينبغي أن نمر عليه ونحن صامتون[2].

لكن لو كنَّا في حاجة لأنْ نثبت موضوع الخلق بحديث مستقيم وحقيقي، فسوف نقول إن خالق الكل صنع من الأرض الإنسان، أي جسده. وأحياه -بطريقةٍ هو ذاته يعرفها- بنفسٍ حيَّةٍ وعاقلةٍ، ووضع في طبيعته كل ميل تجاه الخير ومعرفة الصلاح[3]. وهذا -كما أعتقد- ما يظهره حديث يوحنا الإنجيلي

١- الكلام هنا عن التمييز الجوهري بين العقيدة والتعليم اللاهوتي الذي نجده عند آباء وكُتَّاب كنسيين آخرين. العقيدة كحق مُعاش لا تقبل أي تغيير فهي غير قابلة للتغيير أو للاختراق. على النقيض من ذلك، أي تعليم آخر يقبل النقاش أو التغيير، أنظر:
Γ. φλορόφσκυ, Δημιουργία καί ἀπολύτρωση, σ.33. Ν. Ματσούκα, Δογματική καί Συμβολική θεολογία Α, σ. 21

٢- الأمر الهام في هذه الحالة، هو التمييز بين مَنْ صنع العالم، وكيف صار العالم؟ السؤال الأول ينتمي تماماً للمجال اللاهوتي، بينما الثاني ينتمي إلى البحث العلمي. موقف القديس كيرلس يمثل أيضاً موقف التعليم الآبائي في مجمله، حيث يحفظ المسافة بين التعليم اللاهوتي الأرثوذكسي والتعليم الدفاعي العقيم. وفي نفس الوقت يُظهر إمكانية العمل المشترك بين التعليم اللاهوتي والعلم. أنظر:
Μ. Βασιλείου, Εἰς τήν Ἑξαήμερον, PG 29, 25 Α Ν. Μάτσσούκα, Δογματική καί Συμβολική θεολογία Β, σ. 167.

٣- يقول القديس كيرلس - في نفس السياق - في موضع آخر: «لقد خُلقَ الإنسان منذ البداية متحملاً مسئولية إرادته وحرية اختيار الشيء الذى يفضله. ولأن الله خلقه علىَ مثاله لذلك خُلقَ حراً. وأعتقد أنه بهذه الطريقة، أعطى للإنسان أن يكون جديراً بالإعجاب، إذا أظهر بإرادته أنه يميل إلى الفضيلة» جيلافيرا على سفر التكوين، المقالة الأولى، ترجمة د. جورج عوض إبراهيم، مراجعة د. نصحي عبد الشهيد، الكتاب الشهري، ديسمبر ٢٠٠٣.

الطوباوي: «كان النور الحقيقي الذي ينير كل إنسان آتياً إلى العالم» (يو ١: ٩). هكذا صار وجودٌ حيٌّ لديه ميلٌ طبيعيٌ تجاه الصلاح، وهذا ما يُعَلِّمه بوضوح بولس الحكيم قائلاً: «لأننا نحن عمله مخلوقين في المسيح يسوع لأعمال صالحة قد سبق الله فأعدَّها لكي نسلك فيها» (أف ٢: ١٠). لأنه منذ الأزمنة القديمة معروفٌ أن الإنسان بإرادته الحُرة يقود لجام ذهنه، بحيث يكون لديه القدرة على أن يلتف حيث يريد، إمَّا تجاه الصلاح أو تجاه الشر. كما أن الطبيعة البشرية مغروسٌ فيها المسامحة والرغبة في كل صلاح والغيرة في الإحسان والبر[١].

لأجل هذا، نقول إن الإنسان خُلِق بحسب صورة الله ومثاله طالما أنه -بحسب طبيعة وجوده الحي- مزوَّدٌ بالجود والبر. لكن، ولأن الإنسان لم يكن ينبغي فقط أن يكون عاقلاً ولديه ميل تجاه الصلاح والبر، بل أن يكون أيضاً مشاركاً للروح القدس لكي يكون لديه خواص الطبيعة الإلهية الأكثر بهاءاً، نفخ الله فيه نسمةَ حياةٍ. هذا هو الروح القدس الذي بواسطة الابن، مُنِحَ للخليقة العاقلة[٢]، وهكذا أخذت شكل النوع الأسمى جداً، أقصد الإلهي.

هذه النسمة التي نفخها الله في الإنسان لم تصر نفسه ولا عقله كما يزعم البعض. هذا نستطيع أن ندركه من الآتي: أولاً ذاك الذي نفخ هو الله، والنسمة التي أتت منه تُعتبر كشيءٍ خاصٍ به، أي أنها جزءٌ من جوهره. وعلى ذلك كيف لهذه النسمة -التي أتت من الله- أن تتحول إلى النفس أو تصير عقلاً، طالما كان

١- سبق للقديس باسليوس الكبير أن أكد على هذه الحقيقة بأن هذه الفضائل، وبالحري المحبة مغروسة في طبيعتنا، أنظر: ΕΠΕ8,198-200

٢- الكلام هنا عن روح الحرية غير المخلوق، والإنسان الذي يشترك فيه يُوصف كإنسان روحي وكامل ومقدس وممتلىء، أنظر:
Κυρίλλου Ἀλεξανδρείας, Ἑρμηνεία εἰς τήν κορνθίους ἐπιστολήν Β, PG 74, 932 C.
في نفس الوقت، مثل الآباء الكبادوك، يشدد القديس كيرلس على دور الروح القدس في تجديد وإعادة تشكيل الإنسان مبرهناً على ألوهية الأقنوم الثالث للثالوث القدوس. وحيث أن الروح القدس يجدد ويخلق ثانيةً الطبيعة البشرية إلى «الصورة الأولى»، بالتالي هو قدوس ومساوٍ للأقنومين الآخرين في الجوهر، أنظر:
w. J. Burghardt, the image of God according to Cyril of Alexandria, P. 135. G. B. Lodmer, the Idea of Reform, P. 80.

من المستحيل أن تتغيَّر الروح؟ أمَّا لو اعتقد أحدٌ بأن هذا ممكن، وأن الروح بتحوُّله، يمكن أن يصير نفساً أو عقلاً (وهو الأمر المستحيل)، فإننا مباشرةً يمكننا تمييز الآتي: لو كان الروح الإلهي قد صار نفساً للإنسان، لَظلَّ عقله ونفسه غير قابلين للخطية. أما وإن كان الروح الإلهي الذي تحول إلى نفس، قد سقط في الخطايا، عندئذٍ يمكننا أن نوجه إدانةً مزدوجةً لهذا القول: الأولى: إننا فرضنا على الروح شيئاً من التغيُّر بالرغم من أنه هو ذاته لا يقبل التغيير. والثانية: وهي الأهم، قدَّمنا الروح على أنه صار قابلاً للخطية[1].

أَمَا وإن كان الوجود الحي -بقوة الله التي لا توصف- قد اكتسب نفساً، وخُلق مشابهاً لله، فلأجل هذا أيضاً -من طبيعة هذا الوجود- أن يكون صالحاً وباراً وله مشاعر ظاهرة تجاه كل فضيلة.

لقد تقدَّس الإنسان صائراً مشاركاً للروح الإلهي[2]، لكنه فقده بسبب أنه أخطأ. لأن الله يقول: «لا يدين روحي في الإنسان لزيغانه هو بشر» (تك ٦: ٣)، الأمر الذي يعني أن البشر يهتمون فقط بالجسد. لكن عندما سُرَّ الله الآب أن يجدد -في المسيح- كل شيء، أي أن يحضرنا ثانيةً إلى حالتنا الأولى، ويردُّ ثانيةً فينا الروح القدس -الذي فارقنا وقطع الشركة معنا- نَفَخَ في وجوه الرسل القديسين، قائلاً: «اقبلوا الروح القدس» (يو ٢٠: ٢٢). هذه النفخة للروح القدس بواسطة المسيح، هي بمثابة تجديد الهبات القديمة لنفخة الله الأولى. وأعاد تشكيلنا وقادنا إلى القداسة الأولى، وأحضر ثانيةً الطبيعة البشرية ممثلةً -كبدايةٍ- في الرسل القديسين إلى القداسة الأولى التي أُعطيت لنا أثناء خلقتنا الأولى.

١- عند هذا الحد يستخدم القديس كيرلس مبرره المنطقي لكي يدافع عن الإختلاف العظيم بين المخلوق وغير المخلوق ويُظهِر الأخطار الجمة التي يمكن أن تنشأ من رفض هذه الحقيقة.

٢- يقول القديس كيرلس بكل وضوح في موضع آخر: «كرّم خلقته وذلك بإرادته الإلهية فقط، وعلى الرغم من أنه قد خلقه من الطين، إلا أنه كائن حي عاقل، ونفخ فيه مباشرة روحاً خالدةً ومحيية، لأنه مكتوب: «ونفخ في وجهه نسمة حياة فصار آدم نفساً حية» (تك ٢:٧)» جيلافيرا على سفر التكوين، المقالة الأولى، ترجمة د. جورج عوض إبراهيم، مراجعة د. نصحي عبد الشهيد، الكتاب الشهري، نوفمبر ٢٠٠٣.

الفصل الثالث

بأي مفهومٍ خُلِق الإنسانُ بحسب صورة الله؟

كذلك أيضاً يزعم البعض من أولئك الذين يبحثون في مفهوم خلق الإنسان بحسب صورة الله -بدون فهم- أن التشابه بين الإنسان والله، هو تشابهٌ يخص فقط الصورة الجسدية، والشكل الذي نراه، وليس شيئاً آخر[1].

وبحسب رأيي يجب أن أجيبهم بأنهم قد ضلوا وإن عقلهم فقد الشوق والمحبة للحق[2]. فبينما يعلّم المخلص بكل وضوح أن «الله روح»، نجد أولئك ينسبون ملامح جسدية للطبيعة الإلهية، وشكلاً مماثلاً للشكل الذي لدينا. وبالتالي لا يُدرَك الله ذاته بعد كروح، بل كجسد، طالما كانت الأشكال تُصاحِب الأجساد. لكن، لأن الله هو روح، ورائع الجمال، فهو أسمى من كل هيئة ومِثال وشكل يمكن أن تُوصف.

لقد أخذنا شكله بطريقةٍ أساسيةٍ فريدة؛ حتى يمكن لهذا الشكل أن يكون مدرَكاً لنا من جهة الفضيلة والقداسة. لأن الإلهي هو قدوسٌ وأصل ونبع كل فضيلة. أما وإنه يجب علينا أن ندرك خلق الإنسان بحسب صورة الله بهذا المفهوم، فهذا ما يُعلمنا إياه بولس الحكيم قائلاً لأهل غلاطية: «يا أولادي الذين أتمخض بكم أيضاً إلى أن يتصور المسيح فيكم» (غلا ٤: ١٩). لقد تصوَّر المسيح فينا حقاً بتقديس الروح وباستدعاء اسمه بإيمانٍ تام. أمَّا أولئك الذين يتجاوزون مسألة الإيمان ويصمتون بشأنه، فليعرفوا أن خصائص المسيح

١- الحصر الشديد لـ «بحسب الصورة» في الجسد فقط من جانب أتباع مذهب أن الله له هيئة بشرية، يشرح الطريقة المطلقة التي بها رفض القديس كيرلس أن يقصر «بحسب الصورة» على جسد الإنسان.

٢- كلمة أو مصطلح: αφιλοθεάμονα فقدان المحبة والشوق، استُخدم فقط من جانب القديس كيرلس.

لن تلمع بقوة فيهم[١]. لأجل هذا السبب يحتاجون لأوجاع ولادة روحية جديدة، ولادة ثانية ذهنية لكي تشرق وتلمع الصورة الإلهية في داخلهم بتقديس الروح القدس، ويأخذون ثانيةً هيئة (شكل) المسيح.

كذلك ليس بعيداً أيضاً أن نتحدث عن مماثلة الإنسان بالله -كإمكانية- من ناحية سلطان الإنسان. لأنه أُعطي الحق في أن يسود على كل ما هو موجود فوق الأرض. وهذا هو السبب الثاني لمماثلتنا بالله.

لكن لو كان خلق وولادة الإنسان بحسب صورة الله، على علاقة بطبيعة وشكل الجسد البشري، لَمَا كان من الممكن لنعمة الخلق بحسب الصورة أن تغيب عن أشخاص؟ لأننا (بالسقوط)[٢] لم نفقد شيئاً من تلك الأشياء التي تنتمي لجوهرنا. لكن لأن القداسة والبر يشكلاننا بحسب الله؛ نقول إن أولئك الذين لا يحيون بالفضيلة، ولا يسلكون بما يليق بمسيرة القداسة، فقدوا الجمال الفاضل والحسن[٣]. لأجل هذا أيضاً، يتثبت الجمال الحسن هذا، بالقداسة والفضيلة،

١- بفضل الاتحاد الذي تم بين الابن وطبيعتنا البشرية صرنا نحن بر الله مثل الابن ولكن بحسب النعمة، وكل هذا ما كان ليحدث لو كان الابن مجرد إنسان عَادي وليس الله، وهذا ما يؤكده القديس كيرلس في حواره حول الثالوث القدوس، إذ يقول: «ورغم أنه الإله والرّب فلكي يُرجعنا بواسطة نفسه لله الآب، ولكي يصالح الكل حِسب المكتوب «وَأَنْ يُصَالِحَ به الكل لنَفْسه، عَاملاً ٱلصُّلْحَ بدَم صَليبه، بوَاسطته، سَوَاءٌ كَانَ مَا عَلَى الأَرْضِ أَمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ» لَكَي يصنَع ذَلَك كَله، توسَّط كإنسان. ولهَذا يقول بولس: «نَطْلُبُ عَنِ الْمَسِيحِ: تَصَالَحُوا مَعَ اللهِ»، وذلك بالاتحاد بشخص المسيح. ولأن طبيعة الإنسان لا تحتمل أن تستوعب مجدَ الله بحسب ما كَان قبْل التجسّد، لذلك فقد لبس الابن الوحيد لأجلنا ولأجل خلاصنا، جَسَدنَا وتشبّه بنا». حوار حول الثالوث القدوس، الجزء الأول، الحوار الأول ترجمة المركز الأرثوذكسي للدراسات الآبائية مارس ٢٠٠٨، طبعة ثانية، ص ٤٤.

٢- من وضع المترجم.

3- Γ. φλορόφσκυ, θεόφιλος Ἀλεξανδρείας, θέματα Ἐκκλησιαστικῆς Ἱστορίας, σ. 149.

وقد لاحظ الأب جورج فلورفسكي أن القديس كيرلس مثل القديس أثناسيوس استخدم كلمةً تحمل معنيين «αφοινίζειν» إزالة أو إختفاء؛ لكي تعلن نتيجة تأثير الخطية على «بحسب الصورة»، ومن الصعب أن نحدد معنى هذه الكلمة بدقة حيث أنها تعني الاختفاء السطحي أو الدمار الكلي. ولكن في هذا العمل الذي كتبه كيرلس: « ضد الذين يتصورون أن لله هيئة بشرية» الكلمة المستخدَمة لا تخص الصورة، لكن تخص جمال الصورة. هكذا لا تحمل الكلمة معنيين في هذا العمل، بل تعني زوال جمال الصورة الأولى وليس الدمار الكلي للصورة. لقد استغل البعض ورود هذه الكلمة في عمل كيرلس ليزعموا بأن القديس كيرلس وآباء مدرسة إسكندرية ينادون بدمار صورة الله في الإنسان بعد السقوط، لكن بالنسبة للقديس كيرلس لم يفقد الإنسان نعمة الخلق «بحسب صورة الله»، بل فقد جمال هذه الصورة، أنظر:

W. J. Burghardt, the image of God, P. 153 – 159.

وكذلك بحياة التقوى.

وإن كان البعض يعتقدون -بسبب غباءهم الشديد وعدم رجاحة عقولهم- بأن الطبيعة الإلهية ذات هئية بشرية، فكيف يفسرون قول المخلص حين تحدث مع اليهود عن الله الآب: «لم تسمعوا صوته قط ولا أبصرتم هيئته» (يو ٥: ٣٧). إن كان الله مثل البشر، فكيف لم يرَ -ليس فقط اليهود، بل أيضاً كل الشعوب- حتى الآن هيئته[1]؟

١- الظهور الحقيقي للآب هو في المسيح، وهذا ما أكد عليه القديس كيرلس أثناء حديثة عن قول الله لموسى بخصوص أنه سيسكن في وسطهم (خر ٢٥: ١ - ٨) إذ يقول: «وعندما تؤخذ التقدمات، يقول: «فيصنعون لي مقدساً لأسكن في وسطهم». أي أن المسيح يظهر في الكنيسة ويتمجد في كل أعضائها كما تقول المزامير: «الرب هو الله وقد أنار لنا» (مز ١١٨: ٢٧). لاحظ هذا أيضا، أنه بالرغم من أنه نزل إلى الجبل على شكل نار ورآه كل الشعب، فقد كتب هكذا مع أنه لم يظهر بعد؛ لأنه يقول: «فيصنعون لي مقدساً لأسكن في وسطهم». يمكننا إذن أن نرى بوضوح كيف أن تلك الرؤى إنما هي فقط ظلال للرؤية الإلهية الحقيقية. إن الظهور الحقيقي لله هو المسيح الذي في شخصه رأينا الآب نفسه. لذلك وبّخ الربُّ اليهودَ كأغبياء، قائلاً: «لم تسمعوا صوته قط ولا أبصرتم هيئته. وليست لكم كلمته ثابتة فيكم لأن الذي أرسله هو لستم أنتم تؤمنون به» (يو ٥: ٣٧ - ٣٨)، بينما هم ظنوا أنهم رأوا إله الجميع حقاً على جبل سيناء». السجود والعبادة بالروح والحق، المقالة التاسعة، ترجمة د. جورج عوض إبراهيم، مراجعة د.نصحي عبد الشهيد، الجزء الخامس، إصدار المركز الأرثوذكسي للدراسات الآبائية يناير٢٠٠٦، ص ٦٢ - ٦٣.

الفصل الرابع

إلى الذين يتساءلون:
"هل خُلِقت الملائكة بحسب صورة الله؟"

حين فسَّرنا -تحليلياً- الخلق بحسب صورة الله في علاقته بالإنسان، لم نقل إن الجسد يتشكل ليصير مثل الله. بل قُلنا إن الخلق وتجليه بحسب نموذج الله، لا يخصان مفهوم الجسد. لأن العنصر الإلهي هو عنصرٌ غير جسدي وغير مادي وغير ملموس وأسمى من الكم والهيئة والشكل ولا يمكن أن يُوصف. وحين طبَّقنا على الإنسان صورة العنصر الإلهي، قُلنا إنه خُلِق بحسب مثال الخالق ذاته في كل ما يخص نوعية طُرقه وفضائله الأخلاقية، وكذلك بحسب هيئته الروحية التي تتميز بجمال الفضائل. لأننا نجد العنصر الإلهي في كل شيء حسن، وهو ذاته منبع وجذر وأصل كل فضيلة. من الألوهية تنبع الصالحات وتأتي إلينا[1].

إذن، فقد تشكَّلنا على مثال الله فيما يخص الفضائل، وهذا ممكنٌ أيضاً بالنسبة للملائكة القديسين. وحسناً بلا مقارنة معنا، ليس من الصعب أن يقبل المرء أن كل مخلوق عاقل يمكنه -بالقداسة والبر وكل فضيلة- أن يقترب من المماثلة بالله[2]. لأنه بما أن الجمال الإلهي والفائق يليق بنا نحن البشر الذين نحيا فوق الأرض، كم بالأكثر يليق بالقوات العاقلة في السماء التي يرتاح فيها الله؟ وهذا هو السبب الذي من أجله تدعوهم الكتب المقدسة، السماء الإلهية.

١- سبق للقديس كيرلس أن قال: «إذاً فطالما أن كل عطيّة صالحة تأتي من فوق، هي من الآب وتوزّع بواسطة الابن الذي له السلطة الإلهية». حوار حول الثالوث، الجزء الثاني، ترجمة د جوزيف موريس فلتس، المركز الأرثوذوكسي للدراسات الآبائية، ط٢، مارس ٢٠٠٦، ص٧٤.

٢- يشرح القديس كيرلس كيفية المماثلة بفضل الإبن الحقيقي، قائلاً: «وكيف لا يُعد أولئك الذين يتطاولون على تسمية ابن الله بأنه مخلوق، خارجين عن أي تفكير صالح؟ لأنه، بما أنه ابنٌ حقاً، فكيف يمكن أن يكون مخلوقاً هذا الذي يأتي من جوهر الآب؟ لأن هذا هو ما يعنيه اسم الابن، عندما يُستخدم لشخص من جهة الطبيعة. أمّا فضيلة الأبناء بحسب التبني، فهي شيءٌ آخر، وعلى ذلك، فهو حقاً الابن، وبسبب هذا يُميَّز هو عنّا نحن الذين نلنا التبني. لأنه لا يوجد تبنٍّ أو مماثلة بيننا وبين الابن بحسب النعمة، إن لم يكن الابن الحقيقي كائناً قبلاً، وهذا ما يسمح لنا أن نصير مثله بحسب النعمة» (الكنوز ٣٤: ١١٤).

إلى أولئك الذين ينادون بأننا نقبل مباشرةً أننا خُلقنا "بحسب الصورة" عند الخلق، أمّا "بحسب المثال"، فإننا لم نأخذه أبداً، بل حُفظ لنا للدهر الآتي، وذلك بناءً على ما تذكره الكتب المقدسة: "عندما يظهر المسيح سنصير مثله" (١ يو ٣: ٢)، وأيضاً: "لنخلق الإنسان بحسب صورة الله ومثاله"، ولكن بعد خلق الإنسان قيل: "خلق الله الإنسان وجبله بحسب صورته"، دون أن يذكر هنا "بحسب المثال"؛ لكي يُظهر كيف أننا لم نقبله بعد، بل حُفظ لنا في تلك الحياة الطوباوية.

لو زعموا أن "بحسب الصوة" تختلف عن "بحسب المثال"، ليتهم يشرحون لنا هذا الاختلاف. لأن موقفنا هو أن "بحسب الصورة" لا تعلن شيئاً مختلفاً عن "بحسب المثال"، والعكس "بحسب المثال" لا يختلف عن "بحسب الصورة"[1].

التشبُّه بالله، أخذناه بالتاكيد في بداية الخلق، ونحن صورة الله؛ لأن التكوين الأول للإنسان أو طبيعة الإنسان هي -كما قُلت- طبيعة فعالة وحسنة وبارة

١- القديس كيرلس الأسكندري هو الفريد من آباء الكنيسة الذي يُطابق نعمة الخلق «بحسب صورة الله» بالخلق «بحسب المثال». عند آباء الكنيسة نعمة الخلق «بحسب صورة الله» هي الإمكانيات التي أودعها الله في الإنسان مثل نعمة الحرية، الإبداع، القداسة، ...الخ وهي إمكانيات استاتيك تحتاج إلى تفعيل، التفعيل هذا يقود إلى تحقيق «بحسب المثال»، أنظر غريغوريوس اللاهوتي BEΠEE63, 231, 25 -20. لكن علينا أن نشدد على أن رأي القديس كيرلس لا يختلف جذرياً عن رأي بقية الآباء. قال أستاذ العقيدة Δ. Τσελεγγίδης في كتابه:
Ἡ θεολογία τῆς εἰκονας καί ἡ ἀνθρωπολογική σημοισία τῆς, θες/νίκη 1984, σ.61.
إن مفهوم «بحسب المثال» يُستَخدم بمفهوم «بحسب الصورة» عند القديس كيرلس، لأن «بحسب الصورة» تحفظ العلاقة بينها وبين الأصل الذي يصوره. ففي حالة وجود التواصل المستمر والحي بين «بحسب الصورة» و«الأصل»، تتحرك «بحسب الصورة» نحو كمالها. إذن تفسير القديس كيرلس يشرح بوضوح محتوى «بحسب المثال» في «بحسب الصورة» والعكس صحيح. وهكذا عندما تنقطع علاقة «بحسب الصورة» مع الأصل تتجمد «بحسب المثال».

ومقدسة، وأيضاً مغروسٌ فيها الميل لكل هذا مِن جانب الله.

وهذا، يمكن للمرء أن يتبينه من الآتي: فقد انحرف الذهن البشري، ليس بالطبع من الشر إلى الصلاح، بل بالعكس من الصلاح تجاه الشر. بالتالي، من الحتمي الوجود المسبق للصلاح الذي هجرناه وانحرفنا عنه تجاه الشر. وبولس الحكيم يوضح بأقواله أن الله قد غرس في نفس الإنسان الميل والتأهب ومعرفة كل صلاح من لحظة خلقته الأولى: «لأَنَّهُ الأُمَمُ الَّذِينَ لَيْسَ عِنْدَهُمُ النَّامُوسُ، مَتَى فَعَلُوا بِالطَّبِيعَةِ مَا هُوَ فِي النَّامُوسِ، فَهؤُلاَءِ إِذْ لَيْسَ لَهُمُ النَّامُوسُ هُمْ نَامُوسٌ لأَنْفُسِهِم، الَّذِينَ يُظْهِرُونَ عَمَلَ النَّامُوسِ مَكْتُوباً فِي قُلُوبِهِمْ، شَاهِداً أَيْضاً ضَمِيرُهُمْ وَأَفْكَارُهُمْ فِيمَا بَيْنَهَا مُشْتَكِيَةً أَوْ مُحْتَجَّةً» (رو ٢: ١٤ - ١٥). إذن، فإن كانت معرفة الناموس، أي معرفة هدف المشرع، مغروسةً في الأمم الذين ليس لديهم تشريع، بالتالي يصير واضحاً -في كل واحد- أن الطبيعة البشرية خُلقت منذ البداية بارة وفاضلة[1]، ولأجل هذا الهدف خُلقت من الله حاملةً «هيئة وصورة الله».

لقد كانت الفترة الأولى لحياة الإنسان مقدسةً حقاً، لكن عندما دخلت الخطية، بدأت خواص المشابهة مع الله تفقدُ تدريجياً لمعانها. لكن، بمجرد أن صار **كلمة** الله وحيد الجنس إنساناً، صارت -ثانيةً- طبيعة الإنسان مقدسةً، وأُعيد تشكيلها[2] آخذةً صورة ذاك في البر والقداسة. هكذا قال بولس الحكيم: «وَنَحْنُ جَمِيعاً نَاظِرِينَ مَجْدَ الرَّبِّ بِوَجْهٍ مَكْشُوفٍ، كَمَا فِي مِرْآةٍ، نَتَغَيَّرُ إِلَى تِلْكَ الصُّورَةِ عَيْنِهَا، مِنْ مَجْدٍ إِلَى مَجْدٍ، كَمَا مِنَ الرَّبِّ الرُّوحِ» (٢ كو ٣: ١٨)، «الرب هو

١- سبق للقديس باسليوس الكبير أن أكّد هذه الحقيقة، قائلاً: «المحبة تجاه الله لم تُعَلَّم من أحد. لأننا لم نتعلم من أحد أن نفرح بالنور ونحب الحياة، ولا أحد آخر عَلّمنا أن نحب هؤلاء الذين وَلَدُونا وأطعمونا. هكذا إذن - بالحري - تَعَلُّم الشوق والميل تجاه الله لم يأتِ من عوامل خارجية، بل نبت داخلنا كبذرة لها من طبيعتها الميل تجاه المحبة» ΕΠΕ8,184

٢- يشرح القديس كيرلس كيف أعاد **الكلمة** المتجسد تشكيلنا، إذ يقول: «وهو يلبس طبيعتنا ويعيد تشكيلها بإدماجها في حياته الخاصة. كما أنه هو نفسه أيضاً فينا، لأننا جميعاً قد صرنا شركاءه، بسبب وجوده فينا بالروح القدس. ولهذا السبب، قد «صرنا شركاء الطبيعة الإلهية» (انظر ٢ بط ١: ٤)، ودُعينا أبناء. وبهذه الطريقة يكون الآب نفسه فينا بالابن. ويشهد الرسول بولس بذلك عندما يقول: «وبما أنكم أبناء أرسل الله روح ابنه إلى قلوبكم صارخاً يا أبّا الآب» (غلا ٤: ٦). لأن هذا الروح لا يختلف عن الابن في شيء، وأنا أعني أنه لا يختلف عنه من جهة الطبيعة، إذ أن لهما طبيعة واحدة» شرح إنجيل يوحنا، الجزء الثامن، ترجمة د. نصحي عبد الشهيد، إصدار المركز الأرثوذكسي للدراسات الآبائية، أغسطس ٢٠٠٨، ص ١٢٦.

روح» (٢ كو ٣: ١٧، يو ٤: ٢٤). وهكذا صار التجديد وإعادة الخلق الحقيقية للطبيعة البشرية في المسيح، حيث أُقتيد جسدنا إلى حياةٍ مقدسةٍ في الروح.

لكن بما أن الكتاب المقدس قد ذكر أن الله خلق الإنسان بحسب صورته، وصَمَتَ عن «بحسب المثال»، فهو ما يجب أن ندركه على أنه اكتفى بذكر «بحسب الصورة»؛ لأن «بحسب المثال» لا يعلِن شيئاً مختلفاً.

وعليه يكون القول بأن هذا قد حُفِظ لنا للدهر الآتي، هو قولٌ زائد لا لزوم له؛ إذ من اللحظة التي يقول فيها الله: «لنخلق الإنسان بحسب صورتنا ومثالنا»، مَنْ يتجرَّأ ويزعم أن الخلق صار بحسب الصورة، لكن ليس بعد بحسب المثال[1]؟

أَمَا وأننا سوف نصير مثل المسيح من جهة عدم الفساد، ومن جهة أننا نصير أسمى من الموت، وبعد ذلك من جهة المجد الذي سوف يمنحه لنا هو ذاته، فهذا هو ما يقول عنه بولس العظيم: «لأَنَّكُمْ قَدْ مُتُّمْ وَحَيَاتُكُمْ مُسْتَتِرَةٌ مَعَ الْمَسِيحِ فِي اللهِ. مَتَى أُظْهِرَ الْمَسِيحُ حَيَاتُنَا، فَحِينَئِذٍ تُظْهَرُونَ أَنْتُمْ أَيْضاً مَعَهُ فِي الْمَجْدِ» (كو ٣: ٣ - ٤). كما أننا الآن أيضاً لسنا خارج نعمة «بحسب مثاله»، إذا كان المسيح حقا يتصور فينا بواسطة الروح القدس.

يقول بولس لأهل غلاطية: «يَا أَوْلاَدِي الَّذِينَ أَتَمَخَّضُ بِكُمْ أَيْضاً إِلَى أَنْ يَتَصَوَّرَ الْمَسِيحُ فِيكُمْ» (غلا ٤: ١٩). إذن، عندما نحفظ ذواتنا مؤمنين ومقدَّسين، عندئذٍ سوف يتصور المسيح فينا ويشرق في وجودنا خواص إلوهيته[2].

١- رأي القديس كيرلس واضح وضوحاً مطلقاً، بأن الإنسان يأخذ «بحسب المثال» في لحظة خلقه مع «بحسب الصورة». هذا الموقف المحدد لا يلغي بأية حال الملمح الديناميكي لـ «بحسب المثال» والمسيرة الدائمة للإنسان تجاه القداسة. نفس المشكلة واجهها قبل القديس كيرلس آباء وكُتّاب كنسيين، أنظر كليمنضس الأسكندري، المتفرقات ٢:٢٢. أيضاً غريغوريوس النيصي، عن البتولية G. B. Lander, the Idea of Reform, P. 93 .١٢.

٢- عن الابن نسبِّح في ثيؤطوكية الاثنين مرد كل ربع، قائلين: «أشرق جسدياً من العذراء بغير زرع بشر حتى خلصنا». يؤكد القديس كيرلس على أن المسيح هو النور الحقيقي أثناء حديثة عن منارة ومائدة الخيمة المقدسة، إذ يقول: «أمَّا كون المسيح نوراً، فقد أعلنته المنارة، وكونه الحياة والخبز الذي يعطي حياة، فقد أظهرته المائدة وكل ما وُضع فوقها. لكن عليك أنْ تتأمل أمراً آخراً، وتلاحظ ما ينطوي عليه من سرٍّ: يقع موطن اليهود في الجنوب، بينما موطن الأمم في الشمال. فإذا أخذنا في الاعتبار مكان كلٍ من المنارة والمائدة، فسوف يُدرك مَن يريد، أنّ المسيح قد أشرق كنور على اليهود وكرز لهم «أنَا هُوَ نُورُ الْعَالَمِ» (يو ٨: ١٢). لأنه قد أُرسل إلى خراف بيت إسرائيل الضالة (مت ١٥: ٢٤)، وبحسب الكتبَ المقدسة «لأنّ لهم المواعيد» (رو ٩: ٤). لكن بما أنهم لم يقبلوا نور الحق،

الفصل السادس

إلى أولئك الذين يقولون إننا لسنا صورة الله، بل صورة الصورة؛ لأن الابن وكلمة الله هو صورته، لكن الإنسان لا يمثل صورة النموذج، بل صورة الصورة. يقولون إنه لم يقل إن الله خلق الإنسان صورة ذاته، بل بحسب الصورة لكي يكون الإنسان بحسب صورة الله الآب، أي صورة الابن، الأمر الذي يعني صورة الصورة.

الثالوث الإلهي والمساوى يتفوق ويسمو على كل شكل وتخيل جسدي. لكن من الضروري أن نؤمن بأن الآب يوجد في الابن، والابن في الآب. ذاك الذي رأى الابن رأى الآب (أنظر لو ١٤: ٩). يُرى الابنُ أيضاً في الروح المساوي.

مكتوبٌ حقاً: "الرب هو روح" (٢ كو ٣: ١٧). وهناك تطابق مطلق في الجوهر، حيث لا يوجد أي اختلاف. ولكن الآب هو آبٌ وليس ابناً، والابن ابنٌ وليس الآب، والروح هو الروح وليس هو الابن. كل أقنوم من الأقانيم يحتفظ

صار المسيحُ للأمم هو الحياةَ والخبزَ النازل من السماء، وهكذا لم يبقَ الأممُ بدون نور. وهذا ما تراه من جهة أنّ النورَ يُشرق على شمال الخيمة؛ لأنّ المنارةَ قد وُضعت فوق المائدة التي كانت جنوباً. وما ساعد على إظهار ذلك، أنّ الخيمةَ كانت محدودة القياس». أنظر السجود والعبادة بالروح والحق، ترجمة د. جورج عوض إبراهيم مراجعة د. نصحي عبد الشهيد، الجزء السادس، المقالة العاشرة ص ٢٣ – ٢٤. لقد صرنا شركاء الطبيعة الإلهية بواسطة الروح القدس، فالمسيح يتصور فينا بالروح القدس وغيَّرنا تغييراً جذرياً من صفاتنا البشرية إلى صفاته، كما يؤكد القديس كيرلس قائلا: «إن **الكلمة** الذي من الله الآب يُرقّينا إلى حد أن يجعلنا شركاء طبيعته الإلهية بواسطة الروح (القدس). وبذلك صار له الآن إخوةٌ مشابهون له وحاملون صورة طبيعته الإلهية من جهة التقديس. لأن المسيح يتصوّر فينا هكذا: بأن يغيّرنا الروح القدس تغييراً جذرياً من صفاتنا البشرية إلى صفاته هو. وفي ذلك يقول لنا بولس الطوباوي: «وأما أنتم فلستم في الجسد بل في الروح» (رو ٨: ٩)، فمع أن الابن لا يحوّل أحداً قط من المخلوقين إلى طبيعة لاهوته الخاص – لأن هذا مستحيل – إلا أن سماته الروحية ترتسم بنوع ما في الذين صاروا شركاء طبيعته الإلهية بقبول الروح القدس، وبهاء لاهوته غير المفحوص يضيءُ مثل البرق في نفوس القديسين». ضد نسطور ٣: ٢ PG 76, 129; ACO 1,1,6.60.11.

بخاصيته الأقنومية، بحسب ما إذا كان هو حقاً الآب، والابن والروح القدس[1].

بخلاف ذلك هناك تماثل تام بين الأقانيم ليس فيه أي اختلاف. وبالتالي، إذا كان من الواضح أن الإنسان قد خُلِق بحسب صورة الابن، فهو أيضاً –وعلى ذات الشكل– مخلوقٌ بحسب صورة الله[2]. لأن خصائص كل الثالوث القدوس تلمع في الإنسان بالتأكيد، طالما كانت الإلوهية بحسب الطبيعة هي حقاً واحدة في الآب والابن والروح القدس. حسناً كتب موسى الملهم من الله: «قال الله لنخلق الإنسان بحسب صورتنا ومثالنا»، وأيضاً: «قال الله نعمل الإنسان على صورتنا كشبهنا» (تك ١: ٢٦). فالضمير المتصل «نا» يعلن عن شخص واحد فقط؛ لأن ملء الطبيعة الإلهية والتي لا توصف، توجد في الأقانيم الثلاثة[3].

بالتالي ليس من المناسب أن نضيِّع وقتنا في قضايا عبثية (باطلة) ونتحدث قائلين

١- التمييز بين الخواص الأقنومية وخواص طبيعة الثالوث هو أحد التعاليم الأساسية للقديس كيرلس في شرحه لسر الثالوث. فالخواص الأقنومية تنتمي فقط للأقانيم الإلهية. وحين شرح نص (يو ١٦: ١٥) «كل ما للآب هو لي»، أكد على أن الأقانيم هي واحد في الجوهر ولها خواص الطبيعة الواحدة وأفعال إلهية واحدة، إذ شدد على أن الابن هو الكلمة الأزلي «شعاع» الآب، ولديه كل ما للآب بحسب الطبيعة إلّا صفة الأبوة التي تنتمي فقط لأقنوم الآب: «لا يُقال إن الابن قد أخذ من الآب لأنه لم يكن لديه (لأنه لديه بحسب الطبيعة كل ما للآب فيما عدا الأبوة، إذ أنه كلمته وشعاعه)» (الكنوز ٢٣: ٣). ويبرز القديس كيرلس موضوع التمييز بين الخواص الأقنومية وخواص الطبيعة الواحدة للثالوث حين يشدد على أن الآب هو البداية «ἀρχῆ» للوجود الأزلي لأقنوم الابن، إذ أن الابن يأتي من الآب (البداية) بعلاقة سببية: «بالرغم من أن الابن يختلف عن أبيه في أن الآب هو البداية، إلّا أن الابن يأتي من هذه البداية, وبالرغم من ذلك، لم يتوقف عن أن يتطابق معه ويكون من نفس جوهره» الكنوز في الثّالوث القدُّوس والمساوي للقديس كيرلس الأسكندري البطريرك الرابع والعشرون مقدمة وترجمة وتعليقات دكتور جورج عوض إبراهيم مراجعة د. جوزيف موريس فلتس (مقالة ٩: ٢). وعلى ذلك، فكون أن الآب فقط هو البداية «ἀρχῆ» والعلة «αἰτία» لأقنوم الابن والروح القدس، يبرهن على أن البداية والعلة هما صفتان إقنوميتان للآب فقط، الأمر الذي يؤكد على التمييز بين الصفات الأقنومية وصفات طَبيعة أقانيم الثالوث الواحدة. كذلك الابن بصفته الإقنومية كمولود من الله الآب قبل كل الدهور، والروح بصفته كمنبثق من الله الآب.

٢- أنظر:
Κυρίλλου Ἀλεξανδρείας, Ἑρμηνεία εἰς τήν κορνθίους ἐπιστολή Α, PG 74, 881B

٣- واضح هنا – بالنسبة لكيرلس الذي يتبع التقليد الآبائي في مجمله – أن الوجود الذاتي لأقانيم الثالوث، بالرغم من أنه يمثل الملمح المميز لهم، إلّا أنه لا يكسر تطابق جوهرهم. بالتالي خلق الإنسان «بحسب صورة» الابن، يعلن بوضوح أنه «بحسب صورة» الثالوث خلقه أنظر:
Κυρίλλου Ἀλεξανδρείας, Ὑπερ τῆς τῶν Χριστιανῶν εὐαγοῦς θρησκείας πρός τα τοῦ ἐν ἀθέοις Ἰουλιανοῦ 8, PG 76, 909 CD

إننا لسنا بالحري صوراً لله ولا للنموذج الأصلي، بل لصورة الله. يكفي أن نؤمن ببساطة أننا خُلقنا بحسب الصورة الإلهية، طالما أخذنا -بطريقة طبيعية- أن نكون مشابهين لله. لكن لو كانت هناك حاجة لأن أضيف أيضاً شيئاً قاطعاً غير متوقع، لَكان من الضروري لنا نحن الذين سوف نُدعى أبناء الله، أن نُخلق لا محالة بحسب صورة الابن، هكذا حتى تليق بنا صفة البنوة[1].

١- ملاحظة القديس كيرلس تمثل جدلية خريستولوجية خاصة بالتعليم اللاهوتي لصورة ومثال الله في داخل الإنسان، وبوضوح لا تلغي تقليد التعليم الأرثوذكسي الذي يميز بين الصورة الطبيعية والمصنوعة لله، أنظر:

Κυρὶλλου Ἀλεξανδρείας, πρός τόν εὐσεβάστατον βασὶλέα θεοδόσιον προσφωνητικός, PG 76, 11,1153 D.

الإنسان يمثل صورته « المصنوعة «τεχνητή» الأمر الذي يبرز مخلوقيته، أنظر للقديس كيرلس أيضاً:

Ἑρμηνεὶα εἰς τήν πρός ρωμαὶους ἐπιστολή, PG 74, 776A

أنظر أيضاً:

Δ. Ἱ. Τσελεγγὶδη, Ἡ θεολογὶα τῆς εἰκόνας καὶ ἡ ανθρωπολογική σημασὶα τῆς, σ. 61

الفصل السابع

إلى أولئك الذين يقولون إن النفس المزوَّدة بالعقل، والتي لذلك تشترك في المعرفة، سوف تترقى في الحياة الآتية. ولكي تتقدم لا بُد لها أن تعاني من الخلل والألم والفساد، وبالتالي سوف تموت ثم ترجع ثانيةً إلى الحياة.

الناس الذين يفكرون بمثل هذه الأفكار، يبدو أنهم يجهلون النعمة التي أُعطيت للطبيعة البشرية بعد قيامة الأموات. فإذا كان يجب لهذا الجسد الفاسد أن يلبس عدم الفساد ويخلع الفساد، فإنه من الواضح أنه مع الفساد، سوف يخلع أيضاً الشهوات التي تأتي منه (كل شهوة جسدية)، وسوف ينتقل من الآن فصاعداً للحياة المقدسة والروحية، وسوف يمنحنا مخلص الكل، يسوع المسيح، الثبات في هذه الحياة.

إذن، إن كُنا الآن نحن الذين لنا -ببساطة- عربون الروح، نحيا بطريقة مقدسة، فكم بالحري نصير حين نصل وقتذاك إلى ملء الروح القدس؟

فحيث يوجد ملء الروح، يوجد هناك -بالتأكيد- أمانٌ للعقل وثباتٌ للقلب الذي يميل تجاه الصلاح، وتجاه المشاهدة التقية لله[1]. من الواضح أن ذواتنا سوف تصير أفضل مما نحن عليه الآن، طالما سوف نخلع الفساد ويكون لنا جسد روحي، أي عندما تكون غايتنا هي الأمور الروحية[2]. ولن تكون هناك زعزعةٌ تُلقينا في الشر، طالما أن الخالق ذاته -بواسطة الروح- سوف يحفظنا في مشيئته، بالضبط

١- واضح هنا في هذه الحالة، الملمح الديناميكي لـ «بحسب المثال» التي تقود إلى المعاينة الحقيقية لله.

٢- الإنسان الروحي في التعليم الأرثوذكسي يتميز عن الإنسان النفساني أو الجسداني. الكلام هنا عن الإختلاف الذي لا ينشأ من الطبيعة، بل بالحري من نوعية أخلاقيات وطرق حياة البشر، انظر: Κυρίλλου Ἀλεξανδρείας, Ἑρμηνεία εἰς τήν πρός κορινθίους ἐπιστολήν Α, PG 74, 909 C

مثلما يحدث أيضاً مع الملائكة القديسين[1]. مثل هذا الأمر أظهره المسيح قائلاً: «في القيامة لا يزوجون ولا يتزوجون بل يكونون كملائكة الله في السماء» (مت ٢٢: ٢٩).

١- يشرح القديس كيرلس الكبير، في سياق الحديث عن بلبلة الألسن، عمل الروح القدس فينا بكونه إلهاً، بأنه سوف يوحّدنا مع طغمات الملائكة، قائلاً: «لكن في المسيح كان تعدد الألسنة هو علامة جيدة. لأن التلاميذ عندما كانوا مجتمعين في يوم الخمسين «صار بغتةً من السماء صوت كما من هبوب ريح عاصفة وملأ كل البيت حيث كانوا جالسين. وظهرت لهم ألسنة منقسمة كأنها من نار واستقرت على كل واحد منهم. وامتلأ الجميع من الروح القدس وابتدأو يتكلمون بألسنة أخرى كما أعطاهم الروح أن ينطقوا» (أع ٢: ٢ - ٤). إذاً ما الذي تقوله هذه الكلمات؟ إن الروح القدس منح لنا المسيرة نحو العلو وتحقق الصعود إلى السموات بالإيمان بالمسيح، ويجب أن تتحد كل لغات المسكونة أي الشعوب أو الأمم بمعونة الروح. لأن كل لسان للبشر قبل المسيح أصبح يكرز بأسراره. إذاً في حالة تعطيل بناء البرج وتشتت الناس في كل الأمم كان تعدّد الألسنة رسالة مسبقة تقول بأنه عند مجيء المسيح كانت هذه أداة للوحدة بمعونة الروح القدس وللصعود إلى فوق. لأن المسيح صار لنا «برج قوة» حسب كلمات المزمور (انظر مز ٦١: ٣) الذي يحملنا إلى المدينة السمائية ويوحّد البشر بطغمات الملائكة». جيلافيرا، ترجمة د. جورج عوض إبراهيم، ومراجعة د. نصحي عبد الشهيد، الكتاب الشهري، عدد أغسطس ٢٠٠٤.

الفصل الثامن

- لماذا يموت المشاركين لآدم في طبيعته، مؤدِّين عقاباً عن آبائهم؟

- ولماذا يكون كل واحد منَّا مديوناً بسبب مخالفة ذاك؟

- لماذا لم أرث الطهارة حين وُلِدتُ، بالرغم من أن والدي صار طاهراً من دين الخطية الجدية ومن خطاياه الخاصة، وصار حياً في المسيح وبواسطة الروح القدس؟

- لماذا لم تُفِدْني نعمة البر التي قبلها هو ذاته، بالرغم من أن هذه النعمة هي أقوى جداً من الخطية؟

ينبغي أن نفحص كيف نقل لنا آدم الأب الأول العقاب[1] الذي لحقه من جراء مخالفته. اسمع: «لأنك تراب وإلى تراب تعود» (تك ٣: ١٩)، ومن غير الفساد صار فاسداً وخضع لقيود الموت. وعندما صار للإنسان الساقط بالفعل في الموت أولادٌ، أي هؤلاء الذين وُلدوا منه، وُلِدنا نحن فاسدين[2] بما أننا أتينا من الفاسد. بهذه الطريقة نحن وارثون لعنة آدم[3]. لكن على أية حال لم نُعاقَب[4] لأننا مذنبين

١- أي النتيجة الطبيعية لسقوطه وإبتعاده عن الله مصدر الحياة.

٢- من الواضح هنا أن الفساد لا يُوجد في طبيعة الإنسان، لكنه النتيجة التي جاءت على الجنس البشري من جراء عصيان آدم الأب الأول، أنظر:

Κυρίλλου Ἀλεξανδρείας, Ἑρμηνεία εἰς τήν πρός Ῥωμαίους ἐπιστολήν, PG 74, 789 A. πασχάλια Ὁμιλία 15, PG 77, 744 B.

3- « οὕτως ἐσμέν τῆς ἐν Ἀδάμ κατάρας κληρονόμοι».

٤- مشاركة كل البشرية في عمل آدم يقبله أغسطينوس، أنظر:

Αὐγουστίνου, De paccatorum meritis et remissione I, X, 11, PL 115.
Ι. καραβιδοπούλου, Ἡ ἁμαρτία κατα τόν ἀποστολον παῦλον, θες/νίκη 1968, σ. 79

على النقيض، التعليم اللاهوتي لآباء الكنيسة الشرقية لا يقبل مشاركة كل البشرية في مسئولية ذنب الخطية

مع آدم وخالفنا الوصية التي أُوصي بها ذاك، لكن -كما قلت- لأن الإنسان حين صار مائتاً نقل اللعنة للأولاد الذين ولدهم. أي صرنا فانون من الفاني.

لذلك صار ربنا يسوع المسيح آدم الثاني، وبدايةً ثانيةً[1] لجنسنا بعد آدم الأول. أعاد تشكيلنا وقادنا إلى عدم الفساد مُهيناً الموت ومبطلاً إياه في جسده. بالمسيح إذن انحلَّت قوة اللعنة القديمة. لأجل هذا أيضاً يقول بولس الحكيم: «فإنه إذ الموت بإنسانٍ بإنسان أيضاً قيامة الأموات» (١ كو ١٥: ٢١)، وأيضاً: «لأنه كما في آدم يموت الجميع هكذا في المسيح سيُحيا الجميع» (١ كو ١٥: ٢٢).

نستنتج إذن أن اللعنة الجامعة والعامة لمخالفة آدم هي الفساد والموت[2]، وبالمثل الفداء الشامل (الجامع) للكل تحقق في المسيح. أي أن الطبيعة البشرية في المسيح قد خلعت الموت الذي كان يثقلها؛ لأن الإنسان الأول صار فاسداً.

لكن والد كل واحد منا، بالرغم من أنه قُدِّس من الروح القدس ونال غفران خطاياه، إلَّا أنه لا يمكنه أن ينقل لنا أيضاً العطية؛ لأن واحداً هو الذي يقدِّس

الجدية المنسوبة إلى آدم. فبقية البشر مسئولون فقط تجاه خطاياهم الشخصية. نواة هذا التعليم عبَّر عنه القديس كيرلس في تفسيره لرسالة رومية: PG74, 788-789 A. أنظر أيضاً:

I. ρωμανίση, Ἡ προπατορικὴ αμαρτία, σ. 153 ἑξ

١- أثناء الحديث عن نبوة إسحق ليعقوب الواردة في تك ٢٧: ٢٧ - ٢٨ «رائحة ابني كرائحة حقل قد باركه الرب. فليعطك الله من ندى السماء ومن دسم الأرض. وكثرة حنطة وخمر»، يؤكد القديس كيرلس أن المسيح هو آدم الثاني وجذر ثان للبشرية، إذ يقول: «هكذا، فإن مفهوم النبوة يتناسب مع الشعب الجديد ومع المسيح نفسه الذي هو البداية والأصل، فهو آدم الثاني حقاً وبمثابة جذر ثان للبشرية لأن كل ما في المسيح هو خليقة جديدة. لقد تجددنا ثانية بالمسيح من جهة القداسة والحياة والخلود. أيضاً أعتقد أن حديث البركة يعني الرائحة الروحية الذكية التي في المسيح، كالرائحة الجميلة والمفرحة التي تأتي من ورود الربيع في الحقول اليانعة والمزهرة. هكذا قدَّم لنا المسيح ذاته في نشيد الإنشاد قائلاً: «أنا نرجس شارون سوسنة الأودية» (نش ٢:١). حقاً كان سوسنة ونرجساً، هو الذي نبت من الأرض كإنسان، لكن بدون أن يعرف خطية، إذ تفوح منه عبق الرائحة الذكية على كل المسكونة. إذاً المسيح يشبه حقلاً مباركاً من الله حيث هو بالحق رائحة معرفة الله الآب الذكية لأن بولس الرسول قال: «شكراً لله الذي يقودنا في موكب نصرته في المسيح كل حين ويُظهر بنا رائحة معرفته في كل مكان» (٢ كو ٢:١٤)]. جيلافيرا، ترجمة د. جورج عوض إبراهيم، مراجعة د. نصحي عبد الشهيد، الكتاب الشهري، ديسمبر ٢٠٠٥.

٢- الرأي الأساسي للتعليم الآبائي الأرثوذكسي هو أن الخطية الأُولى هي مرض يورث الإنسان الفساد والموت. ووراثة الذنب كنتيجة للخطية الأولى، النظرية التي سادت في اللاهوت الغربي لا تتقابل معها في التعليم الأرثوذكسي الشرقي. الجدير بالذكر أن محاولة C. Dratsellas في كتابه:

Man in his original state and in the state of sin according to st. Cyril of Alexandria, Athens 1971, P. 38.

أن ينسب لكيرلس التعليم عن وراثة الذنب هي محاولة فاشلة تماماً.

ويبرر جميعنا ويُحضِرنا ثانيةً إلى عدم الفساد، هو ربنا يسوع المسيح. وبواسطة المسيح، هذه العطية تأتي بالتساوى لجميعنا. وكل واحد يحصل على غفران الخطايا من المسيح بواسطة الروح القدس. جميعنا قد تحررنا من العقاب الذي تثقَّلنا به في البداية – أقصد الموت – الذي امتد إلى الجميع مثل الإنسان الأول الذي سقط في الموت[1]. لأجل هذا أيضاً يشير بولس الحكيم إلى أن الموت «قد مَلَكَ من آدم إلى موسى وذلك على الذين لم يخطئوا على شبه تعدي آدم الذي هو مثال الآتي» (رو ٥: ١٤). لكن فيما بعد، عندما أشرق المسيح، أتى البر الذي بررنا بنعمة الله وأبعد الفساد عن جسدنا[2].

١– الكلام هنا عن التمييز المدهش للخطية الأولى لآدم عن نتائج هذه الخطية التي هي مشتركة للكل.

٢– يقول في موضع آخر القديس كيرلس: «يدعِّم هذا القول بولس الحكيم حين يكتب: «فإننا لسنا نكرز بأنفسنا، بل بالمسيح يسوع رباً، ولكن بأنفسنا عبيداً لكم من أجل يسوع. لأنَّ الله الذي قال أنْ يُشرق نورٌ من ظلمة هو الذي أشرق في قلوبنا لإنارة معرفة مجد الله في وجه يسوع المسيح» (٢كو٤: ٥ – ٦). ها قد أشرق بوضوح ونقاء نور معرفة الله الآب في وجه يسوع. وهو يؤكد لنا ذلك قائلاً: «الذي رآني فقد رأى الآب. وَأنا والآب واحد» (يو ١٤: ٩، ١٠: ٣٠). إنَّ الملمح الإلهي هنا ليس حضوراً جسدياً، لكنه بقوة ومجد لائقين بالله، وقد حُفظت هذه القوة تماماً في المسيح». القديس كيرلس الكبير، حوار حول تأنس الإبن الوحيد الوحيد وَعن إنَّ المسيحَ واحدٌ وربٌ بحسب الكتب المقدسة، ترجمة عن اليونانية ومقدمة وتعليقات د. جورج عوض إبراهيم، ص ١١٩.

الفصل التاسع

الكتاب المقدس أظهر لنا صورةً للقيامة العامة الآتية بالرؤية النبوية التي رآها النبي حزقيال: عَظمٌ اقترب من عَظمٍ، وعصبٌ بعصب، وجسدٌ وجلدٌ وشعرٌ وروحٌ، وصارت قيامةٌ لجمعٍ عظيم

(حز ٣٧: ١ وما بعده).

الموضوعات السامية، وتلك التي تحتوي على معجزات عظيمة، تثير الشكوك، لدرجة أن البعض لا يصدقها. لقد أعلن الأنبياء في عصرهم ليس فقط بالتعليم الشفاهي، بل، وإضافةً إلى أن الروح القدس أشرق لهؤلاء معرفة كل شيء، رأوا أيضاً هذه المعجزات ذاتها ونقلوها لآخرين؛ لأنهم آمنوا بها أولاً.

هكذا نرى أن إله الكل أمر أن ينقلوا أولئك الذين بالفعل قد دُفنوا في أرض بابل إلى أورشليم، وأظهر بوضوح للنبي، ليست القيامة على الأرض، بل القيامة الفوقانية، أقصد القيامة التي هي في السموات. كما أظهر أيضاً كيفية حدوث هذه القيامة عندما يأتي الوقت[1]. هكذا يعلنها -مسبقاً- داود العظيم متحدثاً عنَّا، أي عن كل إنسان: «تَحْجُبُ وَجْهَكَ فَتَرْتَاعُ. تَنْزِعُ أَرْوَاحَهَا فَتَمُوتُ، وَإِلَى تُرَابِهَا تَعُودُ. تُرْسِلُ رُوحَكَ فَتُخْلَقُ، وَتُجَدِّدُ وَجْهَ الأَرْضِ» (مز ١٠٤: ٢٩ - ٣٠).

عندما قاوم آدم، بمخالفته، مشيئة الله، أشاح الله بوجهه عنّا. ولذلك رجعنا مرةً أخرى إلى التراب حيث صرنا ملعونين[2]. قال الخالق: «لأنك تراب فإلى

١- يتحدث الكتاب المقدس بالتفصيل عن طريقة مجيء المسيح الثاني. أي يذكر ماذا سيحدث قبل، وأثناء وبعد المجيء، لكن لا يحدد زمن المجيء الثاني، بل يشدد على أن هذا المجيء سيأتي بغتةً وفجأة.

٢- يؤكد القديس كيرلس في كتابه»السجود والعبادة بالروح والحق» على تدبير الخلاص الذي أتمه الابن، إذ يقول: «صرنا شركاء مخالفة آدم ومن جراء أخطائه عُوقبنا، إذ طالت اللعنةُ الجميعَ والغضبُ امتد على نسله. لذلك تنازل وحيد الجنس وأخضع ذاته لله الآب وصار إنساناً وسكن بيننا. لأنه يقول:

تراب تعود» (تك ٣: ١٩). لكن في الأيام الأخيرة، بقوة الروح المحيية، سوف يقيم الله الآب في المسيح كل الأموات. أمّا كون أن قيامة الأموات لم تصر بعد، بل سوف تصير في الأوقات الآتية، يؤكده بولس الحكيم قائلاً: «وَلَكَ إِيمَانٌ وَضَمِيرٌ صَالِحٌ، الَّذِي إِذْ رَفَضَهُ قَوْمٌ، انْكَسَرَتْ بِهِمِ السَّفِينَةُ مِنْ جِهَةِ الإِيمَانِ أَيْضاً الذين منهم هيميناس والإسكندر» (١ تيمو ١: ١٩). هذان قالا بأن القيامة بالفعل صارت. فإذا حدث أن قال شخصٌ ما شيئاً مثل هذا تسبب في زعزعة الإيمان، يواجهه حزقيال النبي الذي أوضح بالرؤية النبوية قوة القيامة[1].

«وأطاع حتى الموت» (في ٢: ٨)، ماحياً نتائج عصيان الكل، وعصيان كل واحد على حدة، وبهذا قد خلصنا. ويشهد على ذلك بولس الذي قال: «فَإِذاً كَمَا بِخَطِيَّةٍ وَاحِدَةٍ صَارَ الْحُكْمُ إِلَى جَمِيعِ النَّاسِ لِلدَّيْنُونَةِ، هكَذَا بِبِرّ وَاحِدٍ صَارَتِ الْهِبَةُ إِلَى جَمِيعِ النَّاسِ، لِتَبْرِيرِ الْحَيَاةِ. لأَنَّهُ كَمَا بِمَعْصِيَةِ الإِنْسَانِ الْوَاحِدِ جُعِلَ الْكَثِيرُونَ خُطَاةً، هكَذَا أَيْضاً بِطَاعَةِ الْوَاحِدِ سَيُجْعَلُ الْكَثِيرُونَ أَبْرَاراً» (رو ٥: ١٨ - ١٩)]. راجع الجزء السادس، المقالة الحادية عشر، ترجمة د. جورج عوض إبراهيم مراجعة د. نصحي عبد الشهيد، ص ١١٥ - ١١٦.

١- لأن تزعزع الإيمان هو تابع للتحديد الزمني ليوم القيامة وليس للرؤية النبوية لها.

الفصل العاشر

إلى أولئك الذين يبحثون إن كان المسيح قد أضاف شيئاً على طبيعة الإنسان عندما أتى إلى الأرض متجسداً، وبأي مفهوم خُلِق الإنسان بحسب صورة الله.

مَنْ ذا الذي يمكنه أن يتطاول غير معترف بأن المسيح بمجيئه صار سبباً لكل صلاح لطبيعة الإنسان؟ أو مَنْ ذا الذي يمكنه أن يرفض رسالته في هذا العالم متَّهماً إياها بأنها كانت غير مفيدة لنا؟ لأنه وإن كان الإنسان قد خُلِق منذ البدء بحسب صورته، ودُعيت طبيعته لأنْ تكتسب كل صلاح ولتحقق الفضيلة، كما قال بولس الحكيم: "لأَنَّنَا نَحْنُ عَمَلُهُ، مَخْلُوقِينَ فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ لأَعْمَال صَالِحَةٍ، قَدْ سَبَقَ اللهُ فَأَعَدَّهَا لِكَيْ نَسْلُكَ فِيهَا" (أف ٢: ١٠)، إلَّا أن الخطية مَحَت[1] أو أزالت جمال الصورة الإلهية، وسوَّد الشيطان وجه البشرية المتألق. لكن ظهر الذي يعيد التجديد، ذاك الذي أعاد مرةً أخرى الطبيعة البشرية المدانة إلى جمالها الأول[2]، وأعاد خلقتنا تجاه صورته حتى تليق بنا خواص طبيعته بالقداسة والبر والحياة الفاضلة والحسنة. حقاً هو الباب (يو ١٠: ٩)، والطريق (يو ١٤: ٦) الذي به نستطيع أن نأتي إلى كل شيءٍ حَسِن، ونتبع مداراً مستقيماً لكي يظهر لنا نحن الذين نحيا في المسيح جمال الصورة الحسنة؛ لو أظهرنا أننا رجالٌ صالحون بأعمالنا ذاتها.

١- علينا أن نعيد التشديد على أن كلمة «زوال أو إختفاء» لا تخص «الصورة»، بل جمالها: «κάλλος της». بالتالي الإنسان بعد السقوط فقد «جمال» الأيقونة، لكنه يظل «بحسب صورة الله». أنظر السجود والعبادة بالروح والحق، مقالة: 9. أيضاً أنظر: W. J. Burghardt, the image of God, P. 153.

٢- يشدد القديس كيرلس على أن المسيح ردنا إلى حالتنا الأولى، إذ يقول في موضع آخر: «لقد صار الابن حقاً هو الخلاص والبر من الله الآب لأجلنا، إذ هو الحق، وهو الذي تبرّرنا به لأنه انتصر على الموت الذي كان متملكاً علينا منذ القديم، وأعادنا إلى عدم الموت، وأعاد تشكيلنا إلى الحالة التي كانت عليها طبيعتنا منذ البداية». جيلافيرا، الكتاب الشهري، ترجمة د. جورج عوض إبراهيم، مراجعة د. نصحي عبد الشهيد، عدد أبريل ٢٠٠٥.

لقد زُوِّد المخلوق الأول بكل ميل وإصرار على اكتساب الفضيلة، وكان يمكنه ذلك، لكنه على أية حال افتقد الفعل[1]. لذلك قال المسيح ذاته عنّا، أي لخرافة: «وَأَمَّا أَنَا فَقَدْ أَتَيْتُ لِتَكُونَ لَهُمْ حَيَاةٌ وَلِيَكُونَ لَهُمْ أَفْضَلُ» (يو ١٠: ١٠). لقد أعادنا حقاً إلى الطبيعة البشرية التي سبق أن أُعطيت لآدم منذ البداية، أي القداسة[2]، لكنه قال: «حياةً أفضل»، وهو يقصد -بحسب رأيي- أن نكون قديسين في العمل، ونتألق بإنجازاتنا ذاتها.

١- الفضيلة هي اختيار حُر وليس إجبارياً من جانب الإنسان المخلوق بحسب صورة الله، الإنسان الذي خُلق حُراً، أنظر:

Δ. Ι. Τσελεγγίδη, Χάρη καὶ ἐλευθερία κατά τήν πατερική παράδοση τοῦ Ι Δ᾽αἰωνα. Συμβολή στή σωτηριολογία τῆς ορθόδοαης Εκκλησίας, θες/νίκη 1987, σ. 39.

القديس كيرلس يُظهر - كما قلنا - الملمح الديناميكي لـ «بحسب المثال» عندما تحافظ «بحسب الصورة» على علاقتها بالأصل الذي تصوره.

٢- الله قدوس يقدس الهيكل وكذلك يؤكد القديس كيرلس - أثناء حديثه عن دخول هارون لقدس الأقداس في يوم الكفارة العظيم - أن الابن يُقدِّس أيضاً بصفته قدوس؛ لأنه واحد مع الآب في الجوهر بكونه إلهاً، إذ يقول: «كان هارون يدخل مرةً واحدةً في السنة إلى قدس الأقداس بدم الكفارة. ويجب أن نلاحظ أيضا أن المسيح رش دم صليبه الذي هو صليب الخلاص والحياة للجميع. لأن القرون هي مثال الصليب والتي كانت تمتد هنا وهناك مثل الأيدي، ودخول هارون مرةً واحدةً في السنة يشير إلى موت المسيح مرةً واحدةً، الذي هو قدوس القدوسين كإله بطبيعته. لأن يوحنا كان صادقاً بالتأكيد حين قال: «ومن ملئه نحن جميعاً أخذنا» (يو ١:١٦). حيث إن كل الخليقة غير المنظورة والمنظورة تشترك في المسيح. لأن الملائكة أيضاً ورؤساء الملائكة وكل المخلوقات الروحية التي هي فائقة عن الملائكة - مثل الساروفيم أنفسهم - ليس لها قداسة من آخر، سوى المسيح فقط بنعمة الروح القدس». السجود والعبادة بالروح والحق، ترجمة د. جورج عوضٌ إبراهيم مراجعة د. نصحي عبد الشهيد، الجزء الخامس، المقالة التاسعة ص ٩٠.

الفصل الحادي عشر

لدينا القدرة أن نوقف الشهوات الجسدية، أي الطبيعية، ولكن لا نستطيع أن نقتلعها تماماً من جذورها.

يعتقد البعض أن بولس الحكيم يقول أموراً صعبةً، أي صعبة الإدراك وفق أقوال الآباء الرُّسل (١ بط ٣: ١٥ - ١٦). لكنه من غير الممكن أن يشكك أحدٌ في أن كل هذه الأمور مملوءة من الحكمة الفوقانية. فبواسطة بولس الرسول يتحدث المسيح، حسناً يقول: " فَإِنِّي أُسَرُّ بِنَامُوسِ اللهِ بِحَسَبِ الإِنْسَانِ الْبَاطِنِ. وَلكِنِّي أَرَى نَامُوساً آخَرَ فِي أَعْضَائِي يُحَارِبُ نَامُوسَ ذِهْنِي، وَيَسْبِينِي إِلَى نَامُوسِ الْخَطِيَّةِ الْكَائِنِ فِي أَعْضَائِي" (رو ٧: ٢٢ - ٢٣). وأيضاً: "وَيْحِي أَنَا الإِنْسَانُ الشَّقِيُّ! مَنْ يُنْقِذُنِي مِنْ جَسَدِ هذَا الْمَوْتِ؟ أَشْكُرُ اللهَ بِيَسُوعَ الْمَسِيحِ رَبِّنَا! إِذاً أَنَا نَفْسِي بِذِهْنِي أَخْدِمُ نَامُوسَ اللهِ، وَلكِنْ بِالْجَسَدِ نَامُوسَ الْخَطِيَّةِ" (رو ٧: ٢٤ - ٢٥). واضحٌ إذن أن حركة الجسد تتضاد مع الذهن الذي رغبةً في تقوى الله، يستهدف الانضباط والإمساك، ذلك لأن هذه الحركة لا تخضع لمحاولتنا الدائمة للنقاوة، وتحاربنا حرباً مخيفة. إلَّا أن أولئك المتيقظين المتقين لله، يوبخون حركة الجسد هذه، ويُضعفون مركز الخطية بالنسك والأتعاب، وباستخدام فضائل أخرى[1].

إذن، ليس من الممكن أن يقتلع أحدٌ شهوة الجسد المغروسة أو الطبيعية، لكن كما قلت، يمكننا -باليقظة والسهر- أن لا نسمح للعقل أن يميل للوقاحة، خصوصاً، وإنه منذ أن صار وحيد الجنس إنساناً، لم يسمح لناموس الخطية الذي

١- يحتل النُسك في المسيح مكانة مركزية في التعليم الآبائي باعتباره يمثل وسيلة لمعايشة التغيير الروحي تجاه الأفضل ورجوع الإنسان إلى حالته الأولى قبل السقوط، أنظر:
Κυρίλλου Ἀλεξανδρείας, Ὁμιλία 14, περὶ ἐξόδου ψυχῆς, καὶ περὶ τῆς δευτέρας παρουσίας, PG77, 1085 B.

توحّش في أعضائنا أن يهاجمنا بحنق، وهذا يعلّمه بوضوح بولس الحكيم حين قال: «لأَنَّهُ مَا كَانَ النَّامُوسُ عَاجِزاً عَنْهُ، فِي مَا كَانَ ضَعِيفاً بِالْجَسَدِ، فَاللهُ إِذْ أَرْسَلَ ابْنَهُ فِي شِبْهِ جَسَدِ الْخَطِيَّةِ[1]، وَلأَجْلِ الْخَطِيَّةِ، دَانَ الْخَطِيَّةَ فِي الْجَسَدِ، لِكَيْ يَتِمَّ حُكْمُ النَّامُوسِ فِينَا، نَحْنُ السَّالِكِينَ لَيْسَ حَسَبَ الْجَسَدِ بَلْ حَسَبَ الرُّوحِ» (رو ٨: ٣ - ٤).

إذن، لا يمكننا أن ننتصر على حركات الجسد الطبيعية تماماً (لأن هذا قد حُفظ للحياة الطوباوية التي ننتظرها بشوقٍ في الدهر الآتي)، لكننا نملك القوة لنقاوم بالتصرف البطولي، ونوبّخ حركات الجسد بالعمل المشترك مع الله والقوة التي يمنحها لنا من فوق. ذلك لأن الشهوة قوية بالنسبة للخاملين وهي تسود على قلوبهم حقاً، وذلك بعكس الذين يتقون الله، تكون الشهوة بالنسبة لهم خاملة، وبسهولة تُطرد من العقل. حقاً مكتوب: «ناموس الرب كامل يرد النفس ... خوف الرب نقي ثابت إلى الأبد» (مز ١٩: ٧ - ٩)، أي يجعل الناس أنقياء[2].

١- لم يأخذ المسيح جسد الخطية، بل «شبه جسد الخطية». على الجانب الآخر، موقف التعليم الأرثوذكسي الأساسي، أخذ المسيح الطبيعة البشرية الأولى، أنظر:

Χ. Α. Σταμούλη, Ἡ θεοτόκος, σ. 426.

٢- النُسك المسيحي باعتباره عملاً مشتركاً مع الله يمثل الطريق الدائم للتوبة، والذى يجعل الإنسان مهيئاً لقبول النعمة الإلهية. وطالما أن هدف الإنسان هو نوال الروح القدس (٢٠: ٢٢) فمن الضرورى أن ينفتح الإنسان على النعمة الإلهية. بالنُسك تُمات الطبيعة الجامحة لكى تستعيد نقاوتها الأولى. النُسك، كجهاد الإنسان هو عند الكنيسة منهج للمعرفة اللاهوتية. إن المحاولة النُسكية التى يقوم بها المؤمن ليس لها ملمحاً أخلاقياً، فهى لا ترمى فقط لتحسين صفات الإنسان، لكن تهدف إلى شركة شخصية «إلى جبل صهيون وإلى مدينة الله الحي أورشليم السماوية وإلى ربوات هم محفل ملائكة. وكنيسة أبكار» (عب ١٢: ٢٢ - ٢٣). النُسك اشتراك في طاعة المسيح والقديسين لكى تمتثل الإرادة الفردية وتتطابق مع إرادة الله «فليكن فيكم هذا الفكر الذى في المسيح يسوع أيضاً» (في ٢: ٥).

الفصل الثاني عشر

الإفخارستيا يجب أن تُتمم فقط في الكنائس الجامعة

العطية، أي التقدمة التي نتممها سرائرياً، يجب أن تُقدَّم فقط في كنائس الأرثوذكس المقدسة، وليس في أي أماكن أخرى، ولو أتمها البعض على خلاف ذلك، يكون من الواضح أنهم مخالفون[1]. وهذا يمكن للمرء أن يتحقق منه من الكتب المقدسة. لقد أمر الناموس أن يُقدَّم الحمل ذبيحة في عيد البصخة، وكان يرمز إلى المسيح «فِي بَيْتٍ وَاحِدٍ يُؤْكَلُ. لاَ تُخْرِجْ مِنَ اللَّحْمِ مِنَ الْبَيْتِ إِلَى خَارِجٍ، وَعَظْماً لاَ تَكْسِرُوا مِنْهُ» (خر ١٢: ٤٦).

إذن، كأنهم يسحبون التقدمة خارجاً، أولئك الذين لم يتمموها داخل بيت المسيح الواحد الجامع، أقصد الكنيسة الجامعة[2]. وبناموس آخر يُدرَك مثل هذا الشيء. مكتوب أيضاً: «كُلُّ إِنْسَانٍ مِنْ بَيْتِ إِسْرَائِيلَ يَذْبَحُ بَقَراً أَوْ غَنَماً أَوْ مِعْزًى فِي الْمَحَلَّةِ، أَوْ يَذْبَحُ خَارِجَ الْمَحَلَّةِ، وَإِلَى بَابِ خَيْمَةِ الاجْتِمَاعِ لاَ يَأْتِي بِهِ لِيُقَرِّبَ قُرْبَاناً لِلرَّبِّ أَمَامَ مَسْكَنِ الرَّبِّ، يُحْسَبُ عَلَى ذلِكَ الإِنْسَانِ دَمٌ. قَدْ سَفَكَ دَماً. فَيُقْطَعُ ذلِكَ الإِنْسَانُ مِنْ شَعْبِهِ» (لاو ١٧: ٣ - ٤). بالتالي الذين

١- أنظر قانون ٣١:

Κανόνα τῶν ἁγίων καὶ πανσέπτων ἀποστόλων, Π. Τ. Ἀκανθόπουλου κώδικας Ἱερῶν Κανόνων καὶ Ἐκκλησιατικῶν Νόμων, θες/νίκη 1985, σ. 21.

٢-إن ليتورجية الإفخارستيا في الكنيسة الجامعة ليست هي تزاحم جمع من الناس، لكن هي شركة أشخاص محبين، فالكل يوجد داخل الكل، فشركة الحياة في المسيح تجمعنا وتوحّدنا، إنها شركة الحياة الإفخارستية بالمسيح، كما يقول لنا بول أفدوكيموف: «إنها تحدد الملمح الإفخارستي للحياة الروحية لأن هذه الحياة تتغذى وتنمو بنعمة الإفخارستيا، بالشركة المتصلة بالمسيح وجسده» P.Evodkimov, H P£lh mš tÒ qeÒ, qess. 1970 sel.97. الإفخارستيا هي إذن مائدة الحياة الفضلى، هي تحقيق الشركة الإنسانية، أي الكنيسة في علاقة وشركة البشر بالمسيح. عندما يُرفض عنصر الشركة في الإفخارستيا، أو يتم تجاهله عندئذ نهين ونحتقر الأهمية الخلاصية لتجسد المسيح. الإفخارستيا كإمكانية تحقيق الأخوة الإنسانية والوحدة تمثل نموذجاً ومثالاً لأي شركة إنسانية، فهي تمثل إجابة حاسمة على أي علم إجتماع كاذب في عصرنا، رداً شافياً على القهر الاجتماعي وعلى المأزق الاجتماعي المأسوي والعبث الذي يشهده عصرنا.

يقدمون ذبيحةً خارج الخيمة، لا يختلفون أبداً عن الهراطقة[1]، والهلاك يلاحق الذين يتجرَّأون على فعل هذا الأمر. بالتالي نؤمن أن تقدمات العطايا في داخل الكنائس تتقدس وتتبارك وتُتَمم بواسطة المسيح[2].

١- الكنيسة في التقليد الأرثوذكسي وكذلك الإفخارستيا هما جسد المسيح. بالتالي لدى الكنيسة طبيعة إفخارستية. وخارج الكنيسة لا توجد إفخارستيا لأنه لا يوجد جسد خارج الجسد، وأيضاً لا توجد الكنيسة بدون الإفخارستيا. الإفخارستيا تستلزم جامعية الكنيسة الأرثوذكسية. الهرطقة تُضاد الأرثوذكسية كموقف حياة يكسر الوحدة الإفخارستية، إذ يرفض طبيعة الكنيسة كواحدة ومقدسة وجامعة. أنظر:

G. D. Dragas, Ecclesiasticus. Orthodox Church Perspectives Models and Icons, Darlington 1984, P. 21

٢- واضح عند هذا الحد ضعف التقديس، والبركة وتتميم التقدمات بدون المسيح في «كنائس» الهراطقة. على الجانب الآخر، يوجد المسيح حيث توجد الكنيسة الجامعة، وتوجد الكنيسة الجامعة حيث يوجد المسيح. الإله المتأنس هو رابطة وحدة المؤمنين معه وأيضاً بينهما.

الفصل الثالث عشر[1]

إن إله الكل يمكنه أن يلغي كل ما تحقق من أمور، وفق القول: "ليس شيء غير ممكن لدى الله" (لو ١: ٣٧). أي لا نقول كأنها لم تصر، بل كما لو كانت لم تصر منذ البداية. على سبيل المثال، يمكن أن يجعل الزانية عذراء من بطن أمها، وبالتالي لا تكون زانية أبداً هذه التي زنت؛ لأن "غير المستطاع عند الناس مستطاع عند الله" (لو ١٨: ٢٧).

لا ينبغي أن نفحص قوة الله من حيث عظمتها وجدارتها بالإعجاب؛ لأن فعل الفحص δρώμενο هذا لا يليق بالمجد الإلهي. فالقول بإنه يستطيع كل شيء، لا يليق معه أن نعتبره فاعلاً أيضاً للأمور العبثية. طبعاً، نحن ندرك مدى عبث أن يقول المرء: هل يستطيع الله أن يجعل ذاته ليس الله؟ هل يجعل ذاته قابلة للخطية؟ هل يستطيع أن يجعل ذاته غير صالحة أو غير بارة؟ إذن يجب علينا -بجرأة مطلقة- أن نتخلى عن مثل هذه الأسئلة المغرقة في السخافة. لماذا لا يستطيع الله إطلاقاً أن يجعل تلك الزانية التي تزني كما لو أنها لم تزنِ أبداً ؟ لأنه لا يمكن أن يجعل من الكذب حقيقة. وهذا ليس مؤشر ضعف، بل برهان على أن طبيعته لا تطيق أن تفعل شيئاً لا يليق بها. لأن هذا الكذب غريب عليه تماماً، وأن يجعل الزانية أن لا تزني بتاتاً هو الكذب بعينه، ولذلك يجب -كما قلت- أن نمتنع منذ البداية عن قبول مثل هذه الأسئلة السخيفة والعبثية تماماً[2].

١- الفصل الثالث عشر نجده أيضاً في شرح القديس كيرلس للإنجيل بحسب لوقا، PG 72, 476 C – 477B أثناء تفسير لو ١:٣٧.

٢- الكلام هنا عن مسألة الله كُلي القدرة. الله لا يستطيع أن يعمل الشر. واضح هنا أن «ضعف» الله في تحويل الكذب إلى حقيقة لا يُدرك من جانب كيرلس في إطار إجبار الطبيعة الإلهية، بل يمثل «إظهار

عندما يكون الكلام عن أسئلة غبية وعبثية، فإني -بشكل مبدئي- لا يمكنني أن أتفوه. ولم يكن ينبغي عليَّ أيضاً أن أكتب، لكن لأجل وقارك الذي بمفرده يفكر بأفكار مستقيمة، ولأني أعرف كل ما يخص كل فصل على حدة ولديَّ غيرةٌ واستعدادٌ؛ لذا شرعت أن أوضح لك كل هذه الأمور على قدر المستطاع.

طبيعة الله». على النقيض من ذلك تحقيق الكذب سيقود الله إجبارياً إلى رفض كينونته حاشا!!!. بالتالي الرأي الذي يقول إن الله يستطيع لكن لا يريد أن يفعل الشر هو رأيٌ خاطيء، حيث أن هذا الرأي يقدِّم الله على أنه يتجنب فعل الشر بسبب إراداته، ويقدِّم الشر على أنه حالة خارجية تواجه الله. أنظر:

Ισιδώρου πηλουσιώτη, Επιστολέ52,117, PG78, 557BC

الجدير بالذكر أن الأسئلة العبثية التي يطرحها الهراطقة تفرز نتائج عبثية، وقد سبق للقديس أثناسيوس أن وصف هذه النتائج بأنها: «إفرازات الهراطقة وتقيؤاتهم». أنظر ضد الأريوسيين، المقالة الثانية، ضد الأريوسيين, المقالة الثانية, ترجمة أ. صموئيل كامل ود. نصحي عبد الشهيد, مراجعة د. جوزيف موريس فلتس. إصدار المركز الأرثوذكسي للدراسات الآبائية, أبريل٢٠٠٤م، فقرة ٣٠ ص ٦٣.

الفصل الرابع عشر

إلى أولئك الذين يقولون إن الابن كان يجهل اليوم الأخير كما يحدث مع الجهلاء

آخرون أيضاً يزعمون بأنهم سمعوا المسيح يقول: "وأمَّا ذلك اليوم وتلك الساعة فلا يعلم بهما أحد ولا الملائكة الذين في السماء ولا الابن إلَّا الآب" (مر ١٣: ٣٢)، وبلا فهم، يقولون إن **الكلمة** الذي من جوهر الله الآب لا يعرف حقاً لا الساعة ولا ذلك اليوم، حتى أنه يُحسب ضمن الملائكة، ولا يختلف بأيةِ طريقة عن مخلوقاته.

لكن، كيف يمكن أن تكون لكلٍ من المخلوق والخالق مكانةً وطبيعةً متساوية[1]؟ كيف لا تكون المسافة بينهما غيرَ محدودة؟ الخالق أسمى من الكل، أمَّا المخلوق فهو يندرج ضمن الكل[2]. لكن لو كانوا يعتقدون أن المسيح -بكونه الله- كان يجهل حقاً شيئاً، فليعلموا أنهم بذلك يبتعدون عن هدفهم ويصطدمون بالصخور ويقفون ضد مجد المسيح[3]. لو كان الأمر هكذا كما يزعم هؤلاء، لَكان علينا

١- يتأسس التعليم الآبائي على التمييز بين المخلوق وغير المخلوق.

٢- يشرح القديس كيرلس بكل وضوح الفرق بين الخالق والمخلوق، إذ يقول: «ما هو الفرق بين الخالق والمخلوق؟ وكيف نفهم كلمات الرسول بولس الخاصة بطبيعة الله «الذي يُحْيِي الْكُلَّ؟» (١ تيمو ٦:١٣). لو كان الابن مخلوقاً، وهو قادر على أن يحيي الكل، لأصبحتَ الخليقةَ قادرة على أن تحيي نفسها، وليست محتاجة بالمرّة إلى الله. و لم يعد في الطبيعة الإلهية ما يميزّها عن المخلوقات، ولأصبحت المخلوقات مثل الله قادرة على أن تفعل ما يفعله الله. وهذا مستحيل. إذن الابن ليس مخلوقاً، بل هو الله ولذلك فهو بالطبيعة الحياة أيضاً». أنظر شرح إنجيل يوحنا، المجلد الأول، مرجع سابق، الإصحاح الأول، ص ٨٥.

3- Ἰσιδώρου πηλουσιώτη, Επιστολέ 51, 117, PG78, 260 D- 261A

إن الهراطقة محاربي المسيح كما يصفهم القديس كيرلس، يزعمون أن وحدة الآب والابن أمرٌ مستحيل لأن الابن يقول إنه لا يعرف يوم نهاية الأزمنة بالرغم من أن الآب يعرف هذا اليوم (الكنوز ٢٢: ١). يجيب القديس كيرلس بأن الابن بكونه إلهاً يعرف اليوم والساعة طالما كان يعرف كل ما هو قبل ذلك اليوم سارداً بوضوح كل ما يمكن أن يحدث قبل هذا اليوم وتلك الساعة لأنه بعدما وصف ما سيحدث، قال: «ثم يأتي المنتهي» (مت ٢٤: ١٤). أما عن قوله أنه لا يعرف فهو يتناسب - كما يؤكد القديس كيرلس - مع الطبيعة البشرية بكونه إنساناً لأن خاصية الطبيعة البشرية هو عدم

أن ننتهي لنتيجة مفادها أن الابن ليس مساوياً للآب في الجوهر. ولو كان الآب يعرف، والابن يجهل، فكيف يمكن أن يكونَ معادلاً له، أي من نفس جوهره[1]؟ لأنه على أية حال ينبغي لذاك الذي لا يعرف أن يَكون في مكانةٍ أقل من ذاك الذي يعرف.

ومن العجيب أيضاً أن يُدعى الابنُ مشورة الله الآب. حقاً لقد قال عنه بولس: «صار لنا حكمة من الله» (١ كو ١: ٣٠)، وأيضاً: «المذخر فيه جميع كنوز الحكمة والعلم» (كو ٢: ٣). وداود العظيم يرنم للإله السماوي، قائلاً: «برأيك (بمشورتك) تهديني» (مز ٧٣: ٢٤)، داعياً الابن الذي وُلِد منه مشورة الله. بالتالي، كيف لا يكون مضحكاً أن نعتقد بأن حكمة الله ومشورته تجهل شيئاً من الأشياء التي يعرفها الآب؟ والوحيد الذي يعرف الآب، كيف يجهل يوم نهاية العالم؟ أيّ من الاثنين يتفوق في المعرفة، أن تعرف ماذا يكون الآب، أو أن تعرف اليوم الأخير؟ مكتوب: «الروح يفحص كل شيء حتى أعماق الله» (١ كو ٢: ١٠). إذن، بما أن الروح الذي يعرف أعماق الله وكل ما يخص الله، هو روح الابن ذاته[2]، كيف لا يعرف كل ما يتعلق بالآب؟

يتضح لنا بناء على ذلك، أن كثيراً من الأفكار تقود حديث أولئك إلى العبث؛ لذا من الضروري أن نأتي إلى التدبير ونقول إن وحيد الجنس **كلمة** الله لَبِسَ مع

معرفة الأمور التي سوف تحدث (الكنوز ٢٢: ١). الأمر الهام الذي يجعلنا نفسر أقوال الرب تفسيراً صحيحاً – كما يؤكد القديس كيرلس – هو أن نفتش في هذه الأقوال عن الزمن الذي قيلت فيه هذه الأقوال من جانب المخلص، فالقول الذي يليق به بكونه إلهاً ينبغي أن نميزه عن القول المتواضع الذي قاله بكونه إنساناً بعد تأنسه إذ يخص ناسوته. والشرط الوحيد لقبول هذا الأمر هو قبولنا لسر التدبير الإلهي، أي أن الكلمة صار جسداً: «لأنه إن لم يكن قد صار إنساناً، فليتحدث إذن بكونه إلهاً، أمّا وقد صار إنساناً، عندئذ من اللائق – كإنسان – أن يتكلم كإنسان، دون أن تقلل خطة تدبير الله من أجلنا من إلوهيته» (الكنوز ٢٢: ٣).

١- الكلام هنا عن المصطلح العقيدي للمجمع المسكوني الأول الذي يحدد بوضوح علاقات الآب والإبن والمخلوقات، وواجه بنجاح هرطقة الآريوسية. الجدير بالذكر أن القديس أثناسيوس كان هو الواضع لهذا المصطلح في المجمع.

٢- إنه التعبير الكتابي المحبوب بالحري عند الآباء الأسكندريين: «الروح القدس ينبثق من الآب ويُرسَلْ بواسطة الإبن». القديس باسيليوس الكبير دَوّنَ أن الروح يُدعى روح الإبن ذاته حيث يسكن فيه بالطبيعة وليس كأنه يأتي أو ينبثق منه، أنظر:

M. Βασίλειος, περί Άγίου πνεύματος 18, PG 32, 152 B

الطبيعة البشرية كل ما يخصها فيما عدا الخطية[1]. فبحسب قياس الطبيعة البشرية كان يجب عليه أن يجهل ماذا يحدث في المستقبل. بالتالي، بكونه إلهاً يعرف كل ما يعرفه الآب، أمَّا بكونه إنساناً أيضاً لم يُلقِ عن كاهله الانطباع بأنه يجهل؛ لأن هذا الجهل يناسب الطبيعة البشرية[2]. وذلك مثلما، بالرغم من أنه هو حياة وقوة الجميع، قَبِلَ الطعام الجسدي دون أن يحتقر قياس الإخلاء الإلهي. الكتب تصفه بأنه نام وتعب، هكذا بالمثل، بالرغم من أنه يعرف كل شيء لم يخجل من أن ينسب لذاته أيضاً الجهل الذي يتناسب مع الطبيعة البشرية[3]. إن كل ما لدى الطبيعة البشرية، صار للمسيح فيما عدا الخطية، لكن لأن التلاميذ أرادوا أن يعرفوا أموراً تتجاوز قدراتهم، عن عمد، زعم -باعتباره إنساناً[4]- أنه لا يعرف،

١- مساواه كلمة الله بالبشرية لا يستلزم أخذه للخطية حيث أنها لا تنتمي لطبيعة البشر، بل هي بمثابة سرطان طُفيلي وشاذ أصابها جراء السقوط، أنظر:
Κυριλλου Ἀλεξανδρείας, Β πρός Σούκκενσο ἐπιστολή, PG77, 240 CD

٢- الكلام هنا عن مبدأ لاهوتي أساسي: «تبادل الخواص» الذي هو نتيجة مباشرة للإتحاد الإقنومي، أنظر:
Κυριλλου Ἀλεξανδρείας, πρός τούς τολμῶντας συνηγορεῖν τοῖς Νεστορίου δόγμασιν, ὡς ὀρθῶς ἔχουσι, PG76, 413 C – 416D

٣- يؤكد القديس كيرلس على أن الابن بتأنسه -تدبيرياً - اكتسب ضعفات الجسد الذي لبسه والبرهان على هذا الأمر - بحسب القديس كيرلس - هو من نص (أع ١: ١٧) حين سأله التلاميذ عن متى ستجيء النهاية؟ أجاب: «ليس لكم أن تعرفوا الأزمنة والأوقات التي جعلها الآب في سلطانه». وهنا يتضح أنه لا يجهل هذا الأمر لأنه لم يقل: «لقد قلت لكم لا أعرف». إذن وقتذاك كان يعرف كل شيء بكونه إلهاً، ولأن هذه المعرفة هي أعظم من معرفة التلاميذ قال «ولا الابن» متحدثاً بطريقة بشرية، أي باعتباره كواحد من البشر حسب طبيعته البشرية، أنه لا يعرف اليوم ولا تلك الساعة « (الكنوز ٢٢: ٦). بالتالي الابن يعرف اليوم والساعة بكونه إلهاً حتى لو قال إنه يجهلها لأنه صار إنساناً وتصرَّف كإنسان. والدليل على ذلك - بحسب القديس كيرلس - أن الآب يفعل كل شيء بواسطة الابن؛ لأنه كما هو مكتوب «كل شيء به كان»، وواحد من هذه الأشياء هو تحديد اليوم والساعة التي فيها تكون نهاية العالم. إذن هذا الأمر حُدد بواسطة الابن. والسؤال الذي واجه به القديس كيرلس الهراطقة هو: كيف إذن يمكن للابن أن يجهل الأمر الذي حُددَ بواسطته؟ (الكنوز ٢٢: ٦). أيضاً هناك إجابة منطقية ذكرها القديس كيرلس للهراطقة، وهي أن الابن يعرف الآب كما قال هو نفسه، فإن قُلتم إنه يجهل اليوم وتلك الساعة فأنكم تعتبرون أن معرفة نهاية العالم هي أعظم من معرفة الآب وحينئذ تقعون تحت عقاب التجديف. لكن بما أن معرفة الآب هي أعظم من أي معرفة، فكيف للذي يعرفُ المعرفة الأعظم أن يجهل الأدنى؟ وهكذا يختم القديس كيرلس كعادته واضعاً الهراطقة أمام هذا السؤال (الكنوز ٢٢: ١٠).

٤- المبدأ الهام الذي يشدد عليه القديس كيرلس، هو: «من المهم أن نفتش عن الزمن الذي قال فيه المخلص هذه الأقوال؛ لأننا هكذا نتجنب الضلال. فلو أن **كلمة** الله قبل تأنسه قال أمراً متواضعاً عن ذاته، فهذا القول يكون على علاقة بإلوهيته. لكن عندما يستخدم الكلمة كلمات بشرية بعدما صار إنساناً؛ لكي يُظهر ذاته إنساناً حقًّا، فكيف لا ننسب هذه الأقوال إلى طبيعته البشرية، إذا كنا قد قبلنا سر التدبير الإلهي؟ لأنه إن لم يكن قد صار إنساناً، فليتحدث إذن بكون إلهاً، أمَا وقد صار إنساناً، عندئذٍ مِنْ اللائق - كإنسان - أن يتكلم كإنسان، دون أن تقلل خطة تدبير الله من أجلنا من

ويقول إنه ولا الملائكة في السماء تعرف؛ وذلك حتى لا يحزن التلاميذ الذين كانوا يريدون معرفة هذا السر.

إلوهيته» (الكنوز ٣:٢٢). وقد سبق للقديس أثناسيوس التأكيد على هذا الأمر، قائلاً: «وليتعلموا (الهراطقة) أولاً أن اللوغوس هو ابن الله، كما قيل أيضاً فيما سبق، وأنه غير مخلوق، ولا ينبغي أن ينسبوا مثل هذه الألفاظ إلى إلوهيته، بل عليهم أن يفتشوا لماذا، وكيف كتبت هذه الأقوال؟ ومما لا شك فيه أن تدبير التجسد الذي صنعه لأجلنا سيجيب على الذين يتساءلون، لأن بطرس عندما قال «جعله رباً ومسيحاً» أضاف في الحال «الذي صلبتموه أنتم»، مما جعل الأمر واضحاً للجميع. ولعله يصير أيضاً واضحاً لهؤلاء، إن كانوا يتابعون معنى النص، إن كلمة «جَعَل» ليست عن جوهر **الكلمة**، بل عن ناسوته. لأن ما هو الذي صُلب سوى الجسد؟». ضد الأريوسيين، مرجع سابق، المقالة الثانية، فقرة١٢ ص ٣٠.

الفصل الخامس عشر

كيف يجب أن نفهم آية:
"الكلمة صار جسداً" (يو ١: ١٤)

ولأنني -كما علمت- أن البعض يسألون عن معنى "الكلمة صار جسداً"، وبأية طريقة يجب أن يفهموا هذه الآية، رأيت أنه من الضروري أن نقول الآتي: اعتاد الكتاب المقدس أن يدعو - فقط الإنسان - بكلمة "جسد"[١]. هكذا وَعَدَ الله -في الأنبياء- أن يسكب روحه على كل جسد. وقال أيضاً: «ويراه كل بشرٍ (جسد - σάρξ) معاً" (أش ٤٠: ٥). ونحن لا نقول بالطبع أن الروح الإلهي ينسكب فقط على الجسد، ولا أن الجسد هو فقط الذي يرى مجد الله، بل على البشر انسكب الروح، وهؤلاء قد رأوا الخلاص[٢] ومجد الله. إذن عندما يقول الانجيلي: «الكلمة صار جسداً»، فهو لا يعلِّم بأن **كلمة** الله تغيَّر إلى جسد؛ (لأنه غير متغيِّرٍ من آبٍ غير متغيِّر)، بل أخذ جسداً بنفسٍ عاقلة، وجعله خاصاً به، وبطريقة عجيبة أتى إنساناً من العذراء القديسة. لأنه لم يصِر إلهاً بينما كان مِن قبل إنساناً، بل بينما هو بحسب طبيعته إله، صار إنساناً[٣].

١- مصطلح جسد «σάρζ» في اللغة الكتابية عند الإنجيلي يوحنا وكل التقليد الآبائي يعني كل الإنسان وليس الجسد في حد ذاته كما ينادي العالم اليوناني، أنظر:
C. Dratsellaw, questions on Christology of st. Cyril of Alexandria

٢- من الواضح أن كمال الطبيعة البشرية للكلمة لها بُعد خلاصي حيث يتبع القديس كيرلس تعليم القديس غريغوريوس اللاهوتي «ما لم يُتخذ لا يُشفى». أنظر:
Γρηγορίου τοῦ Θεολόγου, Επιστογή101, πρός κληδόνιον πρεσβέτρον κατά Ἀπολλιναρίου, PG37, 181C – 184 A

٣- اعتبر نسطور الهرطوقي المسيح بأنه «إنسانٌ حامل لله θεοφόρος ἄνθρωπος» وليس «إلهاً متأنساً θεός ενανθρωπήσαντα» لقد أنكر الإتحاد الأقنومي الحقيقي **لكلمة** الله بالناسوت الذي أخذه من العذراء مريم. رأي نسطور الخاطيء يقود إلى إنكار ألوهية المسيح وبالتالي الإبتعاد عن رجاء الخلاص، أنظر:
Χ. Α. Σαμούλη, Ἡ θεοτόκος, σ. 478.

الفصل السادس عشر

إلى أولئك الذين يقولون إن كل مَنْ اُختير يستحق حالاً المجازاة عن أعماله. لأن المخلِّص لم يقل: "إنسان فقير...بل "لعازر..." ؛ لكي يُظهر باسمه أن هذا حدثاً عملياً وحقيقياً.

يقول الكتاب المقدس إن الدينونة سوف تصير بعد قيامة الأموات. لكن القيامة لن تحدث، لو لم يأتِ المسيح أولاً إلينا، مُحاطاً بمجد الآب مع الملائكة القديسين. هكذا يقول بولس الحكيم: "فِي لَحْظَةٍ فِي طَرْفَةِ عَيْنٍ، عِنْدَ الْبُوقِ الأَخِيرِ. فَإِنَّهُ سَيُبَوَّقُ، فَيُقَامُ الأَمْوَاتُ عَدِيمِي فَسَادٍ، وَنَحْنُ نَتَغَيَّرُ" (١ كو ١٥: ٥٢). إذن طالما لم ينزل ديان الجميع بعد من السماء، و لم تصر بعد قيامة الأموات، بالتالي كيف لا يكون سخيفاً أن نفكر بأن المجازاة صارت بالفعل للبعض، سواء كانوا أشراراً أم صالحين؟

أمَّا كل ما يقوله المسيح عن الغني ولعازر، فهو مجرد مَثَل مطروح بصورة أدبية جميلة[1]. حسناً يقول المثل -كما يذكر تقليد العبرانيين- إن لعازر كان وقتذاك يعيش في أورشليم حيث كان يعاني فقراً مدقعاً ومرض. وقد ذكر الرب

١- يميل القديس كيرلس للشرح من خلال الأمثلة خصوصاً حين يكون الحديث عن مفاهيم إلهية سامية، على سبيل المثال، الثالوث القدوس ومثال الشمس والشعاع يستخدمه القديس أثناسيوس وكذلك القديس كيرلس في حواره حول الثالوث، بقوله: «لنأخذ مثالاً وليكن طبيعة الشمس والشعاع الذي يخرج منها. ولا يمكن أن نطبق آلام الولادة والتمزق وخلافه على خروج الشعاع من الشمس، وهو كائن فيها رغم إشعاعه. وهكذا فالشمس تمتلك في طبيعتها الخاصة، شعاع النور الذي لا ينفصل عنها، لكنه يبدو بعد خروجه منها أن له فرادة خاصة به وأحياناً يفكر البعض في الشمس نفسها ولكنهم لا يستطيعون أن يتخيّلوا جوهرها. ففي هذا الجوهر يوجد الشعاع ومن الجوهر يخرج الشعاع دون أن ينفصل الشعاع عن الجوهر، إلاّ أنه متميّز عنه، إذ أن الشعاع يخرج من الشمس إلى خارجها، ولهذا فمن العبث والمضحك أن نتصور أن الشمس أقدم من الشعاع، وكأن الشعاع الخارج منها يجيء متأخراً. ولا أعتقد أن إنساناً حكيماً وسليم العقل يفكر هكذا. فهذا التصور معناه أن الشمس غير موجودة بسبب أنها لا تمتلك النور موجوداً فيها. وهو الذي يجعلنا ندرك أنها موجودة. هكذا ترى أن الأمثلة المادية الملموسة لها قيمتها في صياغتنا للتعبيرات السليمة، فهي تعطينا إمكانية أن نعبّر عن المعاني الفائقة، دون أن تُفسد هذه التعبيرات معنى الميلاد الإلهي». حوار حول الثالوث، الجزء الأول، مرجع سابق، ص ١٠٤.

هذا الأمر، آخذاً إياه كمثال لكي يجعل حديثه مفهوماً. بالتالي، طالما لم يترل بعد المسيح مخلص الكل من السماء، ولا القيامة صارت، ولا نال البعض مجازاةً عن أعمالهم، بل كما من صورة[1]، يشير إلى مَثَلٍ لغني بحياة الرفاهية وبلا رحمة، وآخرٍ فقيرٍ مملوءٍ من الأمراض؛ لكي يدرك أولئك الأغنياء على الأرض بأنه إن لم يريدوا أن يكونوا نافعين ورحومين ومحبين للشركة، وإن لم يُظهروا استعدادهم أن يعضدوا الفقراء المحتاجين، فلسوف يسقطون في دينونة مخيفة ورهيبة لا مفر منها[2].

١- الأحداث التاريخية في تعليم القديس كيرلس تمثل صوراً للأمور الذهنية، أنظر:
Ὑπόμνημα εἰς τόν προφήτη Ἡσοίαν 2, 1 PG70, 329D.

٢- الاحتفاظ بالغنى واكتنازه يصير غير مقبول في نطاق التعليم الأرثوذكسي على أساس أنه يجب استخدامه لأهداف اجتماعية وليست شخصية . الأغنياء لأ بُد أن يستخدموا أموالهم في العمل الاجتماعي، أنظر:
Μ. Βασιλείου, πρός πλουτοῦντας 3, PG 31, 288B. Γ. Ἰ. Μαντζαρίση, Κοινωνιολογία τοῦ Χριστιανισμοῦ, σ. 215

الفصل السابع عشر

إلى أولئك الذين يقولون: إن الشياطين الذين هم غير جسدانيين اتصلوا أو اختلطوا بالنساء؟

ولأن البعض يقولون: إن الشياطين الشريرة، وهي غير جسدية، تأتي إلى شركة مع بعض النساء، ومن تلك النساء وُلِد الجبابرة؟ لذلك من الضروري أن نجيب أيضاً بسرعة على هذا السؤال، دون أن نتوسع في هذا الموضوع، بل نقدم باختصار مفهوم القضية.

حسناً، يقولون إنه في تلك الأزمنة الأولى انفصل (انقسم) الناس، وأقصد نسل قايين ونسل أنوش الذي لأجل بره العظيم جداً دُعي من البشر، في ذلك العصر، الله: "ولشيث أيضاً وُلِد ابنٌ فدعا اسمه أنوش. حينئذٍ ابتُدِئ أن يُدعى باسم الرب" (تك ٤: ٢٦). إذن، حرص نسل أنوش بغيرة على البر وعمل الخير تابعين خُلُق أباهم. لكن على النقيض، كان نسل قايين وقحين وملعونين وينشغلون بكل نوع من الخسة والدناءة، لأن مثل هذا كان أيضاً أبيهم. لم يختلط أو يمتزج الاثنان فيما بينهما، احتفظ نسل أنوش بتميزهم في حياة الفضيلة، لكن من الوقت الذي فيه رأى نسل أنوش المدعو الله[1] بنات قايين (اللواتي يسميهم الكتاب المقدس بنات الناس) أنهن حسنات وأخذوا منهن زوجات لهم، فَسَدُوا من جراء ذلك، وتملكتهم الرغبات الدنيئة وتفرقوا وانجذبوا تجاه سلوكيات أولئك.

وقتذاك غضب الله وجعل النساء اللواتي تزوجن منهم يلدن مخلوقاتٍ غريبة ممسوخة، تلك التي دُعيت عمالقة بسبب طريقة حياتهم الشنيعة والفظيعة

١- أنظر:

Κυριλλου Ἀλεξανδρειας, Ὑπέρ τῆς τῶν Χριστιανῶν ευαγοῦσς θρησκείας πρός τά τοῦ ἐν ἀθέοις Ἰουλιανοῦ 9, PG76, 956A – 957A

ووقاحتهم المتوحشة[1]. هكذا قال الأربعة المفسرون[2] الذين كانوا يحيون بعد الترجمة السبعينية[3] حين شرحوا آية التكوين (تك ٦: ٢): «أن أبناء الله رأوا بنات الناس». البعض منهم قال: «أبناء السلاطين» وآخرون قالوا: «أبناء السلالة الملكية».

من الغباء إذن أن تعتقد أن الشياطين الغير جسدية كان في استطاعتها أن تأتي أعمالاً جسدية وتتمم أعمالاً خارقةً لطبيعتها. لأن كل واحد من الكائنات لا يستطيع أن يفعل ما هو بخلاف طبيعته، بل كل واحد كما خُلِق، هكذا عيَّن الله لكل واحدٍ الرتبة التي يظل عليها؛ لأنه هو خالق ورب الكل حقاً، وبإشارةٍ منه، يكون كلٌ واحد من المخلوقات على ما هو عليه. ويجب أن نعرف أن هناك مخطوطة لسفر التكوين كُتب فيها نص آية (تك ٦: ٢) كالآتي: «أن ملائكة الله[4] رأوا بنات الناس». وهذه كتابة خاطئة للنص، والكتابة الصحيحة والحقيقية هي: «أن أبناء الله رأوا بنات الناس»[5].

١- أنظر مرجع كيرلس السابق: PG 76, 957A

٢- من المحتمل أنه يقصد الثلاثة المفسرون أكيلاس وسيماخوس وثيودوتيوناس Σὐμμαχος,Ἀκὐλας καί Θεοδοτίωνας هؤلاء ترجموا النص العبري للعهد القديم إلى اللغة اليونانية بعد الترجمة السبعينية. أما المفسر الرابع فلا نستطيع أن نعرفه.

٣- الترجمة السبعينية هي أقدم ترجمة يونانية لنص العهد القديم. تمت في النصف الثاني للقرن الثالث قبل الميلاد في منارة الإسكندرية في ٧٢ يوم وبواسطة ٧٢ عالم يهودي. وسُميت الترجمة السبعنية ويرمز لها بالحرف اليوناني O.

٤- يُقصد بالملائكة هنا ما ورد في مخطوط من مخطوطات نص الترجمة السبعينية للعهد القديم حيث جاءت عبارة «ملائكة الله» بدلاً من عبارة «أبناء الله» كما في النسخة العبرية، وبالتالي يكون المعنى كما فسّره الآباء أن الأشرار من «أبناء الله» والذين هم «أبناء شيث» قد تزوجوا من «بنات الناس» أي من «بنات قايين» كما أن نسلهم كانوا يُسمون بالجبابرة (انظر تك٦:٤).

٥- الجدير بالذكر أن القديس كيرلس الأسكندري هو من الآباء العظام الذين فسروا الكتاب المقدس، وفي هذا النص يظهر منهج القديس كيرلس في دراسة الكتاب المقدس وشرحه، من حيث الرجوع إلى غيره من المفسرين الذين سبقوه، حتى لو كانوا غير مسيحيين، فها هو يرجع للمفسرين اليهود الذين فسروا نص الترجمة السبعينة، وفوق ذلك يمارس نوعاً من النقد أو التحقيق الكتابي للنص حيث يقوم بمقارنة المخطوطات المتوفرة لديه ويصحح قراءة الخاطئ منها. أنظر فيما يتعلق بذلك:
R. L. Wilken, Judaism and Early Christian Astudy of Cyril of Alexandrias Exegesis and Theology, New Heaven 1971.

الإصحاح الثامن عشر

إلى أولئك الذين يقولون إن الابن بكونه الله، هو واحد مع الآب في الجوهر، لكن عندما صار إنساناً، لم يكن -أقنومياً- له وجود مشترك مع الآب.

لقد علمت أن البعض من الذين اعتادوا الثرثرة بلا حدود في المواضيع الهامة والضرورية يزعمون أن ابن الله، الابن الوحيد، بكونه إلهاً بحسب الجوهر، هو واحد مع الآب في الجوهر، أمَّا وقت حياته على الأرض عائشاً بين الناس، كان بحسب الطبيعة واحداً مع الآب في الجوهر، لكن بحسب الأقنوم لم يكن له وجود مشترك مع الآب.

إذن، فقد فرغت السموات حقاً، والحِضن الأبوي ذاته فرغ تماماً من أقنوم البنوة. لأن هذا الزعم يعني عدم إمكانية أن يتصل أقنوم بأقنوم حتى ولو كانا واحداً في الجوهر. إنني أتعجب من وقاحة وجهل هؤلاء الناس الذين ينادون بمثل هذا الرأي، وأظن أن الضرورة تقتضي أن أقول الآتي: هؤلاء البشر يقيسون بالكم والنوعية جوهر الله، ويزعمون أن هذا الجوهر مُدرَكٌ وله حدود، وأنه يمكن أيضاً أن يُحتوى في أماكن، وفي المسافات يحتل مكاناً صغيراً. لكن هذا القول يتناسب فقط مع الأجساد، بالتالي يكون الله أيضاً -بحسب زعمهم- جسداً، وبالتالي يكون له شكل ولن يكون بالطبع بدون جسد. لأن كل هذه الأمور هي أمور تتناسب مع الأجساد[1]. فإن كان هذا الأمر صحيحاً، فكيف قال المخلص: «الله

١- ضعف الموقف السلبي أي منهج اللاهوت السلبي كما يحدث - حسب رأي القديس كيرلس - مع أتباع مذهب «أن لله هيئة بشرية» يقود إلى إخضاع الله غير المخلوق إلى مستوى المخلوقات وإلى خلط تام، فمشكلة الهراطقة هي الخلط الدائم بين ما يتعلق بالله وما يخص البشر، فهم يفهمون ولادة الآب على أنها مثل ولادة البشر، ويشرح القديس كيرلس هذا الأمر في حواره حول الثالوث، إذ يقول: «والحقيقة أن الولادة بالجسد خاضعة للتغيّر والتمزق، ولكن غير الجسدي لا يلد بهذه الطريقة. فكما أنه كائن بطريقة تختلف عن طريقة وجود الكائنات الجسديّة، هكذا أيضاً لابد وأن تكون طريقة ولادته تناسب طبيعته. فكل كائن - حسب رأيي - لا يخضع لقوانين الكائنات الأخرى ولكن

روح» (يو ٤: ٢٤). وهو يقول -حقاً- إنه روح لكي يُبعِد الطبيعة السامية والتي لا تُوصف عن أية أفكار تناسب الجسد.

لهؤلاء الذين يعتقدون بمثل هذه الأمور، نقول عن حق إن قول أحدهم: «هم أبر مني» (حز ١٦: ٥٢)، ينطبق على اليونانيين[1] الذين بتقوى عظيمة يرون أن الإله هو غير جسدي، وبلا شكل وبلا كمية وأجزاء، ويؤكدون كيف أنه ليس له شكل، وحاضرٌ في كل مكان.

لكن كيف غاب عن أولئك ذاك الأمر؟

لو كان الابن واحداً مع الآب في الجوهر، ولكنه أخلى السماء من حضوره عندما صار إنساناً وعاش مع البشر، لَكانت الأرض خالية من أقنوم الآب؛ لأن الآب لم يصر إنساناً ولا عاشر البشر، بل -وأقول شيئاً يتناسب مع عدم تبصرهم- بقي في السموات. إذن كيف قال المخلص: «الآب الحال فيّ هو يعمل الأعمال»؟ (يو ١٤: ١٠). وكيف يقول بواسطة النبي: «أَمَا أملأ أنا السموات والأرض يقول الرب» (إر ٢٣: ٢٤)، وأيضاً: «ألعلي إله من قريب يقول الرب ولست إلهاً من بعيد» (إر ٢٣: ٢٣). الكل حقاً يوجد بالقرب من المسيح وهو يملأ الكل مع الآب، المولود منه بحسب الطبيعة[2]. هكذا يقول داود النبي: «أين

له قوانينه الخاصة. فالوجود أمر مشترك بين جميع الكائنات إلاّ أن الطبيعة الخاصة بكل كائن تُعطى لكل منها فرادته التي تحفظه من الذوبان في باقي الكائنات. فالأجساد تخضع بالطبع لقوانين وعادات الأجساد، وتلد أيضاً حسب قوانينها وتتعرّض للتغيّر. ولكن غير الجسدي بدوره له قوانينه الخاصة ويلد بطريقته الخاصة، لأن طبيعته غير خاضعة للتغيّر والتمزّق». حوار عن الثالوث، مرجع سابق، الجزء الأول، الحوار الثاني، مرجع سابق، ص ١٢٠ - ١٢١.

١- من الواضح أن القديس كيرلس يشير إجمالياً إلى فلسفة اللاهوت السلبي. إن محاولة تحدي مجموعة فلسفية معينة ومطابقتها بمنهج اللاهوت السلبي للقديس كيرلس هي محاولة محفوفة بالمخاطر لسببين: أ- أشكال اللاهوت السلبي نجد صداه عند فلاسفة كثيرين يأتون من مناطق مختلفة، على سبيل المثال الأفلاطونيون، والأفلاطونيون المحدثون، والسفسطائيون. ب- يُصنف القديس كيرلس بأنه ينتمي إلى التقليد الآبائي للاهوت السلبي الذي هو بعيد كل البُعد عن التقليد الفلسفي نظيرة. لأجل هذا يعتبر القديس كيرلس أن الحكماء اليونانيين هم أكثر حكمة من أتباع مذهب «أن لله هيئة بشرية»، وبالطبع ليسوا أكثر حكمة من آباء الكنيسة، أنظر:

V. Lossky, Διονυσίου Ἀρεοπαγίτου, περί μυστικῆς θεολογίας, Ἀθήνα 1983, P.21

٢- يميّز التعليم الأرثوذكسي «بحسب الطبيعة» عن «بحسب الإرادة»، حيث يشير الأول إلى الحديث عن الله «الثيولوجيا»، أما الثاني يشير إلى التدبير «الإيكونوميا». **كلمة** الله يُولد «بحسب الطبيعة» من الله

أذهب من روحك ومن وجهك أين أهرب» (مز ١٣٩: ٧). لا يمكن أن يتصور أحدٌ الأرض أو السموات خالية من الألوهية غير الموصوفة، لأنه كما قلت، الثالوث الإلهي والمساوي يملأ الكل.

دعونا نتذكر أن مخلص الكل والرب قال للرسل القديسين: «خيرٌ لكم أن أنطلق. لأنه إن لم أنطلق لا يأتيكم المعزي» (يو ١٦: ٧). وحيث أنطلق متمماً وعده، أرسل لنا الباراقليط من السماء، أي الروح الذي هو واحد مع الآب والابن في الجوهر. إذن، هل عندما نزل الروح البارقليط إلى الأرض لكي يقدّسنا، لم يكن أيضاً الروح في السموات؟ أم كان يجب أن نقول إنه طالما قدّسنا، صعد ثانيةً إلى السماء ولا يُوجد معنا؟ وأيضاً مكتوب: «روح الرب قد ملأ المسكونة». وكذلك المسيح بذاته قال أثناء صعوده إلى الآب: «ها أنا معكم كل الأيام إلى انقضاء الدهر» (مت ٢٨: ٢٠). وبما أنه معنا، فبالطبع -بحسب رأيكم- سوف تكون السموات خالية من أقنوم الابن باعتباره ترك أحضان الآب [1] ويحيا بالفعل مع الناس.

هذه الأقوال الغبية والسخيفة يقولها أولئك. وأنا أتسائل مَنْ ذا الذي يمكنه أن يحتمل غباوتهم؟ أو مَنْ مِن ذوي الفهم لا يسكب دموعاً غزيرة من أجل هؤلاء الذين يجهلون الكتب المقدسة، ويتفوهون بما يخطر على بالهم وينحرفون عن عقائد

الآب. على النقيض، العالم والإنسان خُلقا «بحسب الإرادة» الله، أنظر:
Γ. φλορόφσκυ, Δημιουργία καί ἀπολύτρωση, σ. 54. N. Ματσούκα, Δογματική καί Συμβολική θεολογία Β, σ. 96 ἐξ

١- شرح أيضاً القديس كيرلس في موضع آخر مفهوم أن يكون الابن هو حكمة وقوة الآب في إطار إيماننا بالثالوث القدوس غير المنفصل بطريقة واضحة، إذ يقول: «الابن هو **الكلمة** والحكمة، لأنه هو كذلك بدون وسيط بينه وبين الآب، فهو من العقل وفي العقل، وبسبب قبول كل أقنوم للآخر وحضوره في الآخر، وبسبب وحدة الجوهر، يمكن أن نرى العقل في الكلمة والحكمة، وكذلك الكلمة في العقل، دون أن توجد قوّة متوسطة قادرة على أن تفصل بين الاثنين. ويُدعى الابن قوّة الآب، لأنه القوّة الكائنة في الآب، بدون انفصال أو وساطة، حتى أننا لا نستطيع أن نفصل بين القوّة والآب مثلما لا نستطيع أن نفصل بين الإنسان وقوّته إلّا إذا دمرّنا أحدهما. ورسم الجوهر أيضاً خاص بالابن، لأنه مثل الآب تماماً، لا يمكن أن ينفصل عن الجوهر الذي يعلنه أي الذي صار رسمه. كل هذا يقودنا إلى الإيمان أن كل أقنوم في الآخر بشكل طبيعي، يعتمد على وحدة الجوهر، فعندما يعمل الآب، يعمل الابن، لأن الابن هو قوّة أقنوم الآب، الخاصة به وبجوهره. وأيضاً عندما يعمل الابن، يعمل الآب أيضاً، فالآب أصل **الكلمة**، الخالق، وطبيعياً هو كائن في الابن مثل النار في الحرارة الصادرة منها». شرح إنجيل يوحنا، مرجع سابق، المجلد الأول, الإصحاح الأول ص ٨٠.

الكنيسة المستقيمة؟ ماذا أجاب المسيح لفيلبس حين تحدث عن الآب؟: «ألست تؤمن أني أنا في الآب والآب فيّ» (يو ١٤: ١٠). بالتالي، يستحيل إطلاقاً أن يوجد الواحد من الاثنين بدون الآخر. بل حيث ندرك أن الآب كائن (وأيضاً بالطبع في كل مكان) هناك أيضاً لا محالة يكون الابن، وهناك حيث الابن كائن، يوجد هناك أيضاً الآب. فإن كان الابن حقاً شعاع الآب، **والكلمة**، وحكمة، وقوة، فكيف يمكن أن نعتقد -على الإطلاق- أن الآب بدون كلمة وقوة وحكمة؟ وكيف يمكن أيضاً أن ندرك حكمة الله **وكلمته** وقوته بدون الآب؟ أو كيف لا يوجد أبداً فيه هذا الذي هو ختمه[1]؟ وكيف يمكن للختم أن يوجد بدون الآب؟ لكنكم تقولون بعدم إمكانية أن يجتمع أو يتصل أقنوم بأقنوم حتى اللذان يشتركان في جوهر واحد، ومباشرةً -كأنه برهان عن ثرثراتهم- يجمعون أقوالاً تتناسب مع طبيعتنا. في حين أنه كان ينبغي عليهم ألّا يفكروا بأن خصائص الطبيعة الإلهية لا تُقيَّم بالطبع بقياسات طبيعتنا، لكنها تعتمد على مكانتها ورتبتها الإلهية، وبالإيمان نقبلها ولا نسمح لأفكار فضولية مُبالَغٌ فيها.

حقاً، إن طبيعة الألوهية غير الموصوفة هي واحدة في ثلاثة أقانيم مميزة، وهي بذلك تتجاوز منطق الطبيعة البشرية، ولا تتبع العادات المعروفة للمخلوقات. وهو ما يمكن أن نتحقق منه من أمور كثيرة. فنحن حقاً نكون آباء لأولادنا بالتدفق والتجزئة. المخلوق الذي يُولد، يُقطع ويكتسب وجوداً مستقلاً يحفظه على الدوام. لكننا لا نقول عن الابن إنه وُلِدَ بهذه الطريقة من الله الآب[2]. لكنه أشرق

١- التركيز على أن الابن هو ختم الآب، وبناء على ذلك هو كامل مثل الآب تماماً، إذ يقول القديس كيرلس في موضع آخر: «وعلى الذين يقاوموننا أن يقولوا لنا: كيف أن الابن هو صورة الآب الكاملة ورسم جوهره ومع ذلك ليس له الكمال في طبيعته الإلهية. فحيث إن الابن هو الختم والصورة فهو أيضاً كامل مثل الآب الذي هو صورته». راجع شرح إنجيل يوحنا، مرجع سابق، المجلد الأول، الإصحاح الأول ص ١٥٧.

٢- لا يمل القديس كيرلس من توضيح الفرق بين الطبيعة الإلهية والطبيعة البشرية أثناء حديثه عن الولادة الإلهية وولادة الأجساد، قائلاً: «فعندما يقال عن طبيعة الله غير الموصوفة والتي تفوق كل عقل إنها تَلد، فهؤلاء يَعتقدون أنها تتأثر بعملية الولادة هذه، وهم في هذا يَجهلون تماماً ماهية الطبيعة غير الجَسديّة وماهية طبيعة الأجسام وما هي التغيّرات التي تعانيها الأجساد. لأن ما لا جسم له هو غير قابل للتقسيم على الإطلاق، بمعنى أنه غير قابل للاشتقاق والتجزيء الذي يتناسب مع طبيعة الأشياء الماديّة الملموسة، أو لإمكانية أن يتأثر بأي شيء من هذه الأشياء.إذن عندما يُقال عن الله أنه «وَلَدَ» فيجب أن يُرفض أي شك في أن الله يعتريه تغيّير بل أن يسود الفكر الذي يعطي طبيعة الله ما يليق بها. لأن الله لا يلد كما نلد نحن، بل يلد بالطريقة التي تناسبه». القديس كيرلس السكندري، حوار

من جوهره، وكأنه نور أبرق. لم يُولَد خارجاً عنه، بل منه وهو غير منفصل عنه. ثم أن آبائنا هم أكبر في العمر من أولادهم. لكن هذا الأمر لا يسري أبداً على الابن في علاقته مع الله الآب. لأن الابن يوجد دائماً مع الآب، ووجوده هو وجود مشترك مع والده (الذي وَلَده)؛ لأن الآب أزلي، ولم يكن أبداً هناك وقتٌ[1] لم يحدث فيه شيءٌ مثل هذا. الوليد الإلهي له طبيعة الآب ذاتها، اختلافه الوحيد يأتي من أنه الابن. ليس هو آب؛ لأنه ولا أيضاً الآب هو الابن. بالتالي طالما، كما قلت، الجوهر يملأ الكل، الجوهر الذي يفوق الكل، لأنه يتخطى أيضاً المخلوق والعقل والمنطق، ليت سفسطة البعض تتوقف، هؤلاء الذين يتحدثون بمفردهم وليس من فم الرب، كما هو مكتوب (إر ٢٣: ١٦)؛ حتى لا يجلبوا على أنفسهم الإدانة التي تتناسب مع أولئك الذين يعتادون فعل مثل هذه الأفعال المضادة للحق.

حول الثالوث، الجزء الثالث، ترجمة د. جوزيف موريس فلتس، مراجعة د. نصحي عبد الشهيد, إصدار المركز الأرثوذكسي للدراسات الآبائية ٢٠٠٨, الحوار الرابع ص ٧ – ٨.

١- الكلام هنا عن عبارة آريوس الهرطوقية والمعروفة: «كان هناك وقت لم يكن الإبن»، والموجودة في أشعار آريوس في عمله: «ثاليا»، حيث وُضِع الإبن في موضع المخلوق، أنظر: ضد الآريوسيين، المقالة الأولى

M. Αιανασίου, κατά Αρειανρειανῶν, Λόγος πρῶτος, PG26, 21A. G. D. Dragas, Athanasiana 1, London 1980, σ. 48 ἐξ

الفصل التاسع عشر

إلى أولئك الذين يقولون إنه عندما صار الابن الوحيد إنساناً ترك السموات خاليةً من ألوهيته.

عَلمت أيضاً أن البعض يتعاطون أقوالاً مضحكة وغير معقولة متحدثين من عندياتهم، وليس "كما يقول الرب" (إر ٢٣: ١٦). لأنه حيث لا يظهر جمال الحق نقياً، فأبو الكذب يسكب هناك سُم الدناءة القاتل للبشر. عَلمتُ أن البعض -عن عدم تبصُّرٍ شديد[١]- يقولون إن **كلمة** الله الوحيد، عندما صار إنساناً وعاش بين البشر ترك السموات خالية من ألوهيته. هذا لا يختلف أبداً عن أن يقول أحد الآتي: إن **كلمة** الله يمكن أن يُقاس بالكم، وأن طبيعته مدركة وأنها تحتل مكاناً مثل الأجساد، أي مثل المخلوقات الأخرى. ربما يجهلون أن الله غير جسدي بدون شكل وأجزاء، لا يمكن أن يُقاس بالكم ولا يُوصف في مكان، بل يملأ كل شيء ويوجد في الكل، وهو أيضاً غير المحوى[٢] بحسب طبيعته المميزة. حقاً مكتوب: «أَيْنَ أَذْهَبُ مِنْ رُوحِكَ؟ وَمِنْ وَجْهِكَ أَيْنَ أَهْرُبُ؟ إِنْ صَعِدْتُ إِلَى السَّمَاوَاتِ فَأَنْتَ هُنَاكَ، وَإِنْ فَرَشْتُ فِي الْهَاوِيَةِ فَهَا أَنْتَ. إِنْ أَخَذْتُ جَنَاحَيِ الصُّبْحِ، وَسَكَنْتُ فِي أَقَاصِي الْبَحْرِ، فَهُنَاكَ أَيْضاً تَهْدِينِي يَدُكَ وَتُمْسِكُنِي يَمِينُكَ» (مز ١٣٩: ٧ - ١٠).

كان لا يجب على هؤلاء -إذن- أن يتفوهوا بأقوال خاطئة بسبب جهلهم،

١- أتباع مذهب «إن لله هيئة بشرية» والذين يهاجمهم القديس كيرلس ليسوا فقط جهلاء، ولكن غير عقلاء أيضاً.

٢- للمرة الثانية يتناول القديس كيرلس العنصر الإلهي بواسطة التعبير السلبي في اللاهوت الشرقي الأرثوذكسي. من الجدير بالذكر أن القداس الغريغوري يعد نموذجاً لاستخدام هذا الأسلوب، أنظر على سبيل المثال: «مستحق وعادل. مستحق وعادل. مستحق وعادل. مستحق بالحقيقة وعادل، أن نسبحك ونباركك ونخدمك ونسجد لك ونمجدك أيها الواحد وحده الحقيقي، الله محب البشر، الذي **لا يُنطق به، غير المرئي، غير المحوي غير المبتدئ الأبدي، غير الزمني، الذي لا يحد، غير المفحوص، غير المستحيل**، خالق الكل، مخلص الجميع،....».

بل أن يفكروا في أي نوع وكم، وإلى أي حد تتفوق الطبيعة الإلهية غير الموصوفة والعظيمة. متى توقف حقّاً **كلمة** الله أن يكون مع الآب أو يمكث فيه؟ لأنه لو كان ممكناً أن يسقط شعاع النور وينفصل عن النور ذاته، عندئذٍ يمكننا أن نقبل إمكانية أن ينفصل الابن عن الآب. كيف، لا يفهمون أن الشمس -كمثال- هي والِدة γεννητός؟ حقاً هي مخلوقة، وقد أُقتيدت من عدم الوجود إلى الوجود بواسطة **كلمة** الله ذاته، قطعت المسيرة السماوية التي وُضِعَت عليها، أرسلت نورها على الكل، وبينما هي تملأ كل شيء ببهائها الذي نشرته، لم يزل هذا النور فيها، مازالت هي تملكه؟ إذن، متى انفصل عن الآب شعاع مجده؟ ومتى ينفصل الختم عن أقنومه[1]؟ وحيث يملأ الآب الكل، الابن لديه هذه الخاصية أيضاً في طبيعته، أقصد أنه يملأ الكل ويوجد في كل مكان ولا يغيب عن شيء. هل سيكون لدية طبيعة مختلفة عن الآب؟

بناءً على ذلك، فقد سقط في ضلال الأريوسيين، أولئك الذين تطاولوا وقالوا هذه الأقوال عن الابن[2]. لو كانوا حقاً قد آمنوا أنه أيضاً هو الله، ومن الله

١- يُعلن القديس كيرلس الوجود المشترك الأزلي لله الآب و**كلمته** بأمثلة مثل: الشمس وشعاعها، النبع والنهر، والعقل والكلمة، لكي يوضح المفاهيم الإلهية لكن كما يؤكد هو نفسه أن الابن هو فوق وأسمى من هذه الأمثلة، وفي شرحه لإنجيل يوحنا يسترسل في طرحه للأمثلة في سياق نص يو ١:١، إذ يقول: «هل من اعتراض على أن الابن في الآب مثل الماء في الينبوع، أو أن الآب هو الينبوع؟ إن كلمة ينبوع تعني هنا المعيّة. لأن الابن في الآب وهو من الآب، ليس كمَنْ يأتي من الخارج في الزمان، بل هو من ذات جوهر الآب، يشع مثل الشعاع من الشمس أو صدور الحرارة من النار. هذه الأمثلة تعني أن نرى كيف يُولَد أو يصدر شيء من شيء، وفي نفس الوقت لا يصدر متأخراً أو بعد زمن، أو أن تكون له طبيعة مختلفة بل يصدر الشيء من الشيء ويظل كائناً معه لا ينفصل عنه، بل لا يمكن لأي منهما أن يوجد بدون الآخر، فلا شمس بلا شعاع ولا شعاع بدون شمس تشعه من داخلها. ولا نار بلا حرارة ولا حرارة إلّا من نار. فالانفصال يعني أن يفقد الشيئان معاً الطبيعة التي تميزّهما. فكيف تصبح الشمس شمساً بلا أشعة، وكيف تصبح النار ناراً بلا حرارة». شرح إنجيل يوحنا، مرجع سابق، المجلد الأول، ص ٤٢، أنظر: أيضاً ما قاله القديس كيرلس في كتابه الكنوز : « إذا كان أحدٌ لا يستطيع أن يقول إن الشعاع الذي ترسله الشمس هو نورٌ مختلفٌ من جهة الطبيعة عن الشمس، أو أنه يصير هكذا لأنه يشترك فيها، أو أنه على علاقة بها، لكنه حقاً نتاجٌ طبيعيٌ منها، ويظهران بالتأكيد في فكرنا على أنهما نوران، بينما هما نورٌ واحدٌ بحسب الطبيعة، هكذا لا يستطيع أحدٌ، حتى وإن كان الآب والابن اثنين عددياً، أن يقول - عن حق - إن الابن هو شيءٌ آخر بجوار الآب، من جهة الإلوهية وتطابق الجوهر. لكن مثلما توجد الشمس في الشعاع الذي أتى منها، ويوجد الشعاع في الشمس التي أتى منها، هكذا يوجد الآب في الابن والابن يوجد في الآب، اللذان من جهة العدد هما أثنين، وهما هكذا من جهة الأقنوم، لكنهما من جهة تطابق الطبيعة متّحدان في إلوهية واحدة « (الكنوز ١٢:٨)

٢- ليسوا آريوسيين، بل سقطوا في ضلال الآريوسيين، الكلام هنا عن أن أتباع مذهب «إن لله هيئة بشرية» لهم مُلامح هرطوقية.

الآب بحسب الطبيعة وُلِد الابن، فلماذا لم ينسبوا له تلك الخواص التي تتناسب مع الطبيعة الإلهية؟ وبينما ينسبون له اسم الله، يحرمونه من خواص الإلوهية، ويجهلون أنهم يُنزِلون الخالق إلى المخلوقات، ويضعون الخالق ورب الكل في رتبه المخلوقات. بالتالي، فيما كان منظوراً على الأرض كإنسان بحسب الجسد، كانت السموات مملوءةً بالتوازي من إلوهيته. لأن الكلمة بكونه الله، يملأ الكل حقاً[1].

١- يُثبت القديس كيرلس – في موضع آخر – أن الإبن هو ملء الكل مثل الآب عن طريق مناقشة طروحات الهراطقة العبثية، قائلاً: «لو كان الآب في مكان معيَّن ويحتل موضعاً ما مثل أي جسد، عندئذ ليتكم تفتِّشون أيضاً عن مكان للابن الذي ولده! لكن بما أن جوهر الآب لا يوجد في مكان واحدٍ؛ (لأن الإلهي لا يمكن أن يكون محصوراً في مكان واحد)، فأنتم تفحصون عبثاً أموراً لا تقبلُ أي فَحص، بل وتتطاولون قائلين: أين يمكن لجوهر الأبن أنْ يجد مكاناً إذا كان الآب يملأ الكل؟ بالتأكيد، الآب يُوجد في الابن والابن يوجد في الآب، لكنهما ليسا متطابقين ولا هما واحداً في العدد. لأن الآب يوجد بخاصيته، والابن بخاصيته، وهذا هو الاختلاف الوحيد للآب عن ذاك الذي ولده. لأن الآب كائنٌ بذاته، وليس هو الابن، والابن كائنٌ بذاته وليس هو الآب. إذن، الابن يتمايز عن الآب، ولكنه يحمل بالطبع نفس طبيعة الآب. وإذا كان الابن يوجد أيضاً في الآب مثل الشعاع الذي ينبعث من الشمس ويأتي بالطبع منها، وهو ليس شيئاً آخراً عنها؛ لأنه واحدٌ معها جهة الطبيعة، إلاَّ أن الشمس شيءٌ، والشعاع شيءٌ آخر. فالآب إذن يُشرق الابن حقاً من ذاته، الابن الذي هو صورته تماماً وختم طبيعته» (الكنوز ٣٦:٧).

الفصل العشرون

إلى الذين يقولون إن الكلمة يعمل المعجزات، دون أن يكون لجسده المقدس أي اختلاط معه.

هؤلاء الآن يعلّمون بأنه لا ينبغي أن نخلط الجسد بألوهية وحيد الجنس، ولا الألوهية بالجسد أثناء أعماله المعجزية، ويزعمون أن الذي أقام لعازر من القبر ليس الإنسان بل هو **الكلمة** الإله، وأنه أثناء سيره لم يتعب الإله، بل الإنسان الذي اتخذه، وهو الذي كان قد تعب وعطش وصُلِب ومات.

لهؤلاء أقول إنهم يفتقدون الحق بكل الطرق ويغيب عنهم سر تدبير التجسد. لأننا لا نقول إنهما ابنان، ولا هما مسيحان، لكن مسيحٌ واحد وابنٌ واحد، وحيد الجنس وأقنوم **الكلمة**، الإله الذي وُلِدَ من الله الآب قبل كل الدهور والأزمنة، وفي أواخر الدهور وُلِد هو ذاته بحسب الجسد من امرأة[1].

إذن ليتهم لا يفصلونه كأنه نفسان، ولا تقدموا لنا ابنين، بل دعونا نعترف **بكلمة** الله الواحد الذي صار إنساناً[2]، وأن كل شيء يخصه[3]، الأقوال والأفعال.

١- تمييز المسيح إلى إبنين قَبله نسطور الهرطوقي. وقد فند القديس كيرلس هذا التعليم في المجمع الثالث المسكوني في أفسس سنة ٤٣١م. القديس كيرلس يميز بين ولادتين للإبن، واحدة أزلية وأخرى في الزمن حين تجسد **الكلمة** بواسطة الروح القدس ومن مريم العذراء، أما المناداة بابنين كما كان يزعم نسطور يرفضه تماماً، أنظر على سبيل المثال: القديس كيرلس الأسكندري، شرح إنجيل يوحنا، المجلد الأول، مرجع سابق، ص ١٤٥ - ١٤٦

Κυρίλλου Ἀλεξανδρείας, Ἑρμηνεία ἢ ὑπόμνημα Εἰς τό κατά Ἰωάννην Εὐαγγέλιον 2, PG73, 885C. Χ. Α. Σαμούλη, Ἡ θεοτόκος, σ.499 ἐξ.

٢- يستخدم القديس كيرلس اتحاد النفس بالجسد في الإنسان كنموذج لشرح الاتحاد بين أقنوم **الكلمة** والطبيعة البشرية الكاملة، فيقول: «لذلك فإن اتحاد **الكلمة** بطبيعتنا البشرية يمكن على وجه ما أن يقارن باتحاد النفس بالجسد، لأنه كما أن الجسد من طبيعة مختلفة عن النفس، لكن الإنسان واحد من اثنين (النفس والجسد)، هكذا المسيح من الأقنوم الكامل لله **الكلمة** ومن الناسوت الكامل، والإلوهة نفسها والناسوت نفسه في الواحد بعينه الأقنوم الواحد» شرح تجسد الابن الوحيد، ترجمة د. جورج حبيب بباوي، سلسلة الفكر المسيحي، مجموعة كتابات الآباء، رقم ١، ص: ١٩.

٣- سبق للقديس أثناسيوس أن ركز على إيضاح حقيقة أن المسيح يعمل لاهوتياً وناسوتياً معاً من خلال

إذن، لأنه هو ذاته إله وأيضاً إنسان، يتحدث بكونه إلهاً وبكونه إنساناً، ويعمل بنفس الطريقة الأمور البشرية والأمور الإلهية[1]. إذن عندما لا يعترفون بابنٍ ومسيح وربٍّ واحدٍ؛ لن يتوقفوا عن أن يفصلونه مثل الجهلة، ويجزّئونه إلى اثنين، لأن الواحد -بحسب زعمهم- يُدرَك منفصلاً، وبالحري بكونه الابن و**كلمة** الله الآب، والآخر أيضاً منفصلاً وبالحري بكونه الابن الذي هو -كما يقول هؤلاء- الإنسان الذي اتُّخِذ.

نحن لا نقول هذا، ولا نؤمن هكذا، بل بينما هو الله **الكلمة**، إلّا أنه صار إنساناً دون أن يفقد ألوهيته، بل ظلّ غير متغيّرٍ وغير متحولٍ هذا الذي تشارَك في اللحم والدم كما هو مكتوب، ونقول إن الجسد الذي اتّحد به، صار خاصاً به وبنفس عاقلة[2].

جسده الذي أخذه. وحين يعمل بقوة ويشفي المرضى ويقيم الموتى، ندرك نحن لاهوته في الفعل. وحين يكون متعَباً فإننا نرى مظاهر الناسوت الأصيل والحقيقي الذي أخذه. هنا جوهر رد القديس أثناسيوس على الإرتباك الآريوسي بين لاهوت وناسوت المسيح. **فالكلمة** لم يكن «خارج» ناسوته الذي أخذه. بالحري حين خدم الابن المتجسد، فإن اللاهوت والناسوت كانا معاً يعملان في وحدة لا تنفصم: [فحينما كان هناك احتياج لإقامة حماة بطرس التي كانت مريضة بالحمى فإنه مدّ يده إليها بشرياً، ولكنه أوقف المرض إلهياً (انظر مت ٨: ١٤). وفي حالة الإنسان المولود أعمى فإن تفل البصاق كان من الجسد ولكن فتح عين الأعمى بالطين إلهياً. وفي حالة لعازر، فلكونه إنساناً فقد دعاه بصوته البشري ولكونه في نفس الوقت إلهاً فقد أقامه من الأموات. وهذه الأمور حدثت هكذا وظهرت هكذا لأنه كان قد اتخذ لنفسه جسداً حقيقياً وليس خيالياً، ولذا كان يليق بالرب بأخذه جسداً بشرياً أن يكون لهذا الجسد كل الخواص التي للجسد، حتى كما نقول إن الجسد كان جسده. هكذا أيضاً نقول إن آلام الجسد كانت خاصة به، أى **الكلمة** رغم أنها لم تمسه بحسب لاهوته] القديس أثناسيوس الرسولي، المقالة الثالثة ضد الآريوسيين، ترجمة د. مجدي وهبة ود. نصحي عبد الشهيد، مراجعة د. جوزيف موريس ود. نصحي عبد الشهيد، المركز الأرثوذكسي للدراسات الآبائية، طبعة ثانية منقحة، أبريل ٢٠٠٧م ص٦٣-٦٤

١- تمييز تبادل الخواص من الطبيعتين في شخص المسيح الواحد، والذي هو نتيجة الإتحاد الأقنومي للطبيعة البشرية والإلهية، تمثل تعليماً سائداً للقديس كيرلس. هذه الحقيقة لم يقدر نسطور أن يدركها نتيجة أنه قبِل شخص المسيح الظاهري الذي يفصله إلى إبنين، إبن الله وإبن الإنسان، أنظر:
Χ. Α. Σαμούλη, Ἡ θεοτόκος, σ.480.

٢- بينما يقبل أتباع أبوليناريوس حقيقة تجسُّد وحيد الجنس، يرفضون أن يكون **الكلمةُ** قد أخذ طبيعةً بشريةً كاملةً. وذلك لأنهم يزعمون أن **الكلمة** أخذ جسداً بلا نفس عاقلة . وبعبارة أخرى، إنّ **الكلمة** لم يأخذ نفساً عاقلةً، لكن احتل هو نفسه مكانها، لكن تؤكد ثيؤطوكية الاثنين على أن «الكائن الذي كان، الذي أتى وأيضاً يأتي، يسوع المسيح **الكلمة** الذي تجسد بغير تغيير، وصار إنساناً كاملاً. لم يفض و لم يختلط و لم يفترق بشيء من الأنواع من بعد الاتحاد. بل طبيعة واحدة وأقنوم واحد وشخص واحد لله **الكلمة**».

الفصل الواحد والعشرون

إلى الذين يقولون إنه لم يصعد بالجسد الذي اتحد به. وأيضاً إلى أولئك الذين يقولون إن الجسد الذي صعد، اختلط بالثالوث القدوس

كيف يمكن لأحد أن يكون لديه شك في أن صعوده صار بالجسد الذي اتحد به[1]؟ لأن الذي قام من الأموات، جعله الآب على يمين[2] عرش عظمته في السموات، فوق كل رئاسة وسلطان وقوة وربوبية وكل اسم يُسمى في العالم (أنظر أفسس ١: ٢١)، وهكذا سيأتي عندما يأتي الوقت. وبالتأكيد يكفي له صوت الملائكة القديسين لأولئك الذين رآوه يُرفع بعد صعوده إلى الحياة من الأموات الذين كرزوا بقوة قائلين بكل وضوح: «أَيُّهَا الرِّجَالُ الْجَلِيلِيُّونَ، مَا بَالُكُمْ وَاقِفِينَ تَنْظُرُونَ إِلَى السَّمَاءِ؟ إِنَّ يَسُوعَ هذَا الَّذِي ارْتَفَعَ عَنْكُمْ إِلَى السَّمَاءِ سَيَأْتِي هكَذَا كَمَا رَأَيْتُمُوهُ مُنْطَلِقاً إِلَى السَّمَاءِ» (أع ١: ١١).

لو كان الذين شاهدوا صعوده، قد رأوا **الكلمة** عارياً من جسده، إذن دعهم يتخيلون أنه سيرجع هكذا أيضاً. لكن بما أنه أعطي تأكيداً للرسل القديسين مُظهراً لهم الجسد الذي استطاع أن يصعد، وهكذا صعد، عندئذٍ هكذا أيضاً سيأتي ولن يكون قوله عن هذا الأمر للرسل القديسين كاذباً. لكن ليت البعض

١- وفق التعليم الأرثوذكسي، الإتحاد الأقنومي: «ἡ ὑποστατικὴ ἕνωσις» لا ينحل أبداً، فهو صار مرةً واحدةً ومستمر على الدوام.

٢- اليمين هُنا ليس له أهمية مكانية، بل المصطلح يعلن الكرامة والمجد المنسوب إلى **الكلمة** المتجسد، المسيح، انظر:

Κυρίλλου Ἀλεξανδρείας, Ἑρμηνείας εἰς τό κατά Ματθαῖον Εὐαγγέλιον, PG72, 433B. Ἰ. Γαλάνη, Δεξια - ἀριστερά ἡ χρήση τῶν λέξεων στήν Κ. Δ. καί τό περιβάλλον της, ΕΕΘΣΑΠΘ25 (1980), σ. 421 ἐξ

لا يتخيل هذا الأمر بسوء، ولا يضع في ذهنه أن الجسد الذي اتحد **بالكلمة** اختلط بطبيعة الثالوث القدوس. لأنه من المستحيل للجوهر غير الموصوف والفائق للطبيعة، والأسمى من كل ذهن، أن يأخذ أي إضافة من طبيعة أخرى خارجية؛ لأن طبيعة هذا الجوهر (الإلهي) هي كلية الكمال ولا تقبل أي نقص، لأنها دائماً غير متغيرة وغير متحولة، ولا -كما قُلت- في احتياج لأي إضافة.

إذن تقولون أقوالاً لا جدوى لها أنتم الذين تزعمون -عن جهلٍ- أن الجسد صعد إلى الثالوث القدوس واختلط به، أو اشترك معه في الوجود. نحن لا نرى هذا الرأي، بل لدينا رأيٌ مستقيم عن المسيح مخلصنا. لأننا نقول إن وحيد الجنس الله **الكلمة** صار إنساناً دون أن تتحول طبيعته إلى جسد[1]، بل أخذه من العذراء القديسة، وإنه سوف يرجع ثانيةً معه في مجد الآب مع الملائكة القديسين.

١- جسد العذراء مريم يمثل خميرة بشرية يسوع، أنظر:
Α. παπαδοπούλο, Ἡ μητέρα τοῦ Ἐμμονουήλ κατά τόν κύριλλο Ἀλεξανδρείας, σες/νίκη, 1991, σ. 325

الفصل الثاني والعشرون

الله الكلمة بجسده الخاص يصنع عجائب إلهية حقاً

نحن نؤمن بأن وحيد الجنس **كلمة** الله صار إنساناً، لا لكي يخلع ألوهيته، ولا لكي يُدرَك عارياً (من جسده)، بل بالحري صار إنساناً واكتسب جسده من العذراء والدة الإله[1]. إذن، فهو الذي حمل اسم المسيح[2]، وهذا الاسم لا يعلن **الكلمة** عارياً، ولا يعلنه إنساناً عادياً أو مثل أحد منا، بل -كما قُلت- هذا الاسم يعلن **كلمة** الله الآب الذي صار إنساناً، والذي مُسح لأجل إرساليته. الإنسان لم يصر الله، كما يقول البعض، حيث اتحد هذا الإنسان[3] **بالكلمة**، بل هو ذاته **الكلمة**، الذي أخذ جسداً وصار إنساناً، وظلّ أيضاً هكذا إلهاً.

إذن عندما صنع عجائب إلهية، لا تفصل **كلمة** الله عن جسده، ولا تنسب له فقط قوة تميم الأعمال المعجزية، بل فَكِّر بالحري بتقوى، بأنه عندما صار **كلمة** الله وحيد الجنس إنساناً، مرات كثيرة صنعها أيضاً بجسده، خاصةً وأنه خاصٌ به، ليس عن طريق الخلط أو الامتزاج. ومثلما نفكر بأن الصانع أو الباني أو الحداد، إنما يتمم أعماله بنفسه وجسده، ولا يقول أحد بأن هذا هو عمل النفس فقط، حتى ولو كانت هي التي تحرك (تحفز) الجسد للعمل، بل الاثنان، هكذا فَكِّر

١- وفق القديس كيرلس، مصطلح والدة الإله:«θεοτόκος» يمثل بمفرده اعتراف إيمان مستقيم، أنظر:
ὁμιλία 15, PG77, 1093 A.
على النقيض إنكار لقب « والدة الإله» بالنسبة للعذراء مريم كما فعل نسطور يقود إلى إنكار ألوهية المسيح وبالتالي الإبتعاد عن رجاء الخلاص، أنظر:
ἐπιστολή15, PG77, 104 C
C. A. Stamoulis, the term theotokos Alexandria, Γρηγόριος ὁ παλαμᾶς 737 (1991), P. 300

٢- إسم المسيح يُنسَب إلى **الكلمة** المتجسد وليس **للكلمة** قبل التجسد، أنظر:
Κυριλλου Ἀλεξανδρείας, περί τής ἐνανθρωπήσεως τοῦ Μονογενοῦς, PG75, 1372 BC

٣- يقصد بوضوح اللاهوتيين الأنطاك وبالحري نسطور الهرطوقي.

أيضاً بخصوص المسيح. فقبل أن يتأنس **الكلمة** العاري من الإنسان، كان يصنع بمفرده الأعمال المعجزية، لكنه عندما صار إنساناً، كان يصنع -كما قُلت- أيضاً بجسده. هكذا لَمَسَ العميان، وهكذا أيضاً أقام ابن الأرملة، فارداً يديه ولامساً نعشه، هكذا أيضاً عندما تفل وصنع طيناً ومسح عيني الأعمى منذ ولادته.

وبينما أنت تحيا روحياً أيضاً، فَكِّر بأنه وهو يرفع الأمور البشرية إلى المستوى الروحي، هو نفسه قد بدأ نشاطه بكونه إنساناً لكي يصير الطريق والبداية لطبيعة الإنسان، حتى يستطيع أن يحيا ليس جسدياً ومحباً للذة، بل بالحري بطريقة روحية مقدسة لأنه صار لأجلنا البداية لكل صلاح، ولأجل هذا ظهر مثل إنسان، حيث حَرّرَ طبيعتنا من السقوط بسبب آدم، لكي يظهرها روحية بذاته وبالحري أولاً معه.

الفصل الثالث والعشرون

إلى أولئك الذين يقولون، كان وارداً أن يخطئ المسيح حقاً، بسبب أن الجسد الذي لبسه كان مشابهاً لجسد آدم

إنهم أغبياء تماماً هؤلاء الذين -لا أعرف كيف- قدَّموا المسيح ذاته على أنه كان من الممكن أن يخطيء[1]؟ لأنه -بحسب التدبير- أخذ هيئتنا وعاشر البشر على الأرض. لأنه، لو كان قد توقف عن أن يكون ما كان عليه، أو عن أن يكون الله وقد عبر إلى طبيعتنا البشرية، عندئذٍ فقط، دعهم يبحثون فيه عن الضعف البشري. لكن بما أنه لَبِسَ الطبيعة البشرية -وكانت هذه الطبيعة قد أظهرت ضعفاً في حالة آدم- بهدف أن يُظهِر في ذاته القوة للانتصار على الخطية، فما الذي يبحثون عنه؟ عبثاً لن يجدوا شيئاً؟ وكيف نسوا ذاك الذي قاله لهم: «لاَ أَتَكَلَّمُ أَيْضاً مَعَكُمْ كَثِيراً، لأَنَّ رَئِيسَ هذَا الْعَالَمِ يَأْتِي وَلَيْسَ لَهُ فِيَّ شَيْءٌ» (يو ١٤: ٣٠)؟ لأن الفضول الفظ لذاك (أي آدم) كان غير كافٍ (خاملاً) في حالة المسيح؛ ولذلك لن يجدوا فيه شيئاً مطلقاً، وحقاً قال لليهود: «مَنْ مِنْكُمْ يُبَكِّتُنِي عَلَى خَطِيَّةٍ؟ فَإِنْ كُنْتُ أَقُولُ الْحَقَّ، فَلِمَاذَا لَسْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِي؟» (يو ٨: ٤٦).

إذن، فكما حُكِم علينا في شخص آدم لأجل العصيان ومخالفة الوصية، هكذا أيضاً -بواسطة المسيح- تُبررنا كلياً براءته وطاعته الكاملة التي بلا لوم، وبواسطته اكتسبت الطبيعة البشرية فخرها.

وُضِع إذن حاجزٌ على اللعنة، وانسدت فوهة الخطية، وأُبطلت معها قوة الموت، كما لو كان قد يَبِسَ من جذره. لأنه إن كانت الخطية قد صارت سبباً

١- يقبل الآريوسيون، وكذلك أبوليناريوس وأيضاً نسطور إمكانية فعل المسيح للخطية، أنظر:
Χ. Α. Σαμούλη, Ἀνθρώπινη φύση του Χριστοῦ καί ἀντιοχειανούς θεολόγους τοῦ 5ου αἰώνα, σ. 561-626.
على النقيض من ذلك، التعليم الأرثوذكسي في مجمله والذي يعبر عنه القديس كيرلس في هذا الفصل يرفض ليس فقط عدم إرتكاب الخطية من جانب المسيح بل إستحالة إمكانية فعلها على أساس الإتحاد الأقنومي الذي حدث بين اللاهوت والناسوت في شخص **كلمة** الله.

للشرور بالنسبة لنا، فإن تبريرنا الذي تحقق بطاعة المسيح[1]، يعني إلغاء كل ما قد حَدَثَ، وأيضاً التحرر التام من الذنب.

هكذا، بالرغم من أنه لَبَسَ جسد آدم، كما يقولون، لم يكن مثل ذاك الأرضي والترابي، لأن المرء كان يمكنه أن يرى فيه الطبيعة البشرية متوَّجةً بمدائح البراءة، الأمر الذي يؤكده الكتاب المقدس قائلاً: «الَّذِي إِذْ شُتِمَ لَمْ يَكُنْ يَشْتِمُ عِوَضاً، وَإِذْ تَأَلَّمَ لَمْ يَكُنْ يُهَدِّدُ بَلْ كَانَ يُسَلِّمُ لِمَنْ يَقْضِي بِعَدْل» (١ بط ٢: ٢٣).

١- أنظر رو ٥: ١٩. يؤكد القديس كيرلس على أن التبرير قد تحقق بالمسيح مقارنةً بالناموس في شرحه لما جاء في يو ١:١٧ قائلاً: «كل مَنْ يريد أن يتعلّم أن يدرس النعمة الإنجيلية التي وُهِبَتْ لنا بواسطة المخلّص ويقارنها بنعمة الناموس التي أعطيت بواسطة موسى، فسوف يرى أن الابن أسمى بكثير، لأنه هو واضع الناموس الذي يهب خيرات أفضل من الناموس الموسوي. ولذلك يقول الإنجيلي «النَّامُوسَ بِمُوسَى أُعْطِيَ أَمَّا النِّعْمَةُ وَالْحَقُّ فَبِيَسُوعَ الْمَسِيحِ صَارَا». وما هو الفرق بين الناموس والنعمة التي صارت بواسطة المخلّص؟ لقد أدانَ الناموس الخليقة، لأنه بالناموس أغلق الله على الكل تحت الخطية (غلا ٣:٢٢) وأظهر أننا تحت العقاب، أمَّا المخلص فقد أعطى الحرِّية للإنسان «لأنه لَمْ آت لأَدِينَ الْعَالَمَ بَلْ لأُخَلِّصَ الْعَالَمَ» (انظر يو ١٢:٤٧). ومع أن الناموس أعطي نعمة معرفة الله للإنسان وجذبه من عبادة الأصنام التي أضلت الإنسان، وبالإضافة إلى ذلك أشار إلى الشرّ وعلّم الخير، وإن كان بطريقة غير كاملة، لكنه كان كمعلّم نافع، أما النعمة والحق اللذان بالابن الوحيد، الذي لم يقدّم لنا الخيرات في رموز، ولا رسم الأمور النافعة في ظلال، بل بوصايا مجيدة ونقيّة، يقودنا بيده، لكي ننال معرفة كاملة للإيمان» شرح إنجيل يوحنا، مرجع سابق، المجلد الأول، ص ١١٨.

الفصل الرابع والعشرون

لماذا لم يظهر الرب من البداية، بل في آواخر الأزمنة أظهر ألوهيته في الحياة البشرية؟

لكي يختلط بالحياة البشرية حتى يطهِّرها من الشر، كان من الضروري الانتظار حتى تنبت كل جذور الشر بفعل العدو، وهكذا نجح، كما يقول الإنجيلي في اقتلاع الشر من جذره.

لأن عظماء الأطباء -عندما تحرق الحرارة الجسد، وتدريجياً تشتعل بسبب المرض- لا يقدمون أية مساعدة غذائية للمريض، بل ينتظرون على المرض حتى يصل إلى قمته، وعندما يتوقف الشر؛ عندئذٍ يستخدمون مهنتهم، حين يُعلَن المرض تماماً. هكذا الأمر أيضاً في حالة الأمراض النفسية، حيث ينتظر الطبيب أن ينكشف مرض الشر الذي اختلطت به طبيعتنا، على اتساعه، حتى لا يظل أياً من الأعراض المستترة بلا شفاء؛ لأن الطبيب يعالج الأعراض التي ظهرت فقط[1]. لأجل هذا، لم يجلب الشفاء بحضوره في زمن نوح حيث فسد كل إنسان من الظلم؛ لأن زرع سدوم الشرير لم يكن قد نَبت.

ولم يظهر الرب أيضاً في زمن دمار سدوم وعمورة؛ لأن كثيراً من بقايا شر الطبيعة البشرية ظلَّ بعدُ مستتراً. أين هو إذن فرعون محارب الله؟ أين شر المصريين الجامح؟ فحتى ولا في هذا الزمن (أقصد زمن المتاعب من المصريين)، كانت هناك فرصة لتقويم كل شيء؛ حتى يختلط بالمعيشة البشرية، لكن كان يجب أن يُعلَن أيضاً عصيان الإسرائيليين. كان يجب أن تظهر للحياة أيضاً مملكة الأشوريين.

١- واضح هنا في مثل هذه الحالة استخدام المصطلح الطبي من جانب آباء الكنيسة الشرقية عندما يُشار إلى الخطية، وفي نفس الوقت يرفضون المصطلح القانوني، فالذي يحتاجه الإنسان الخاطيء هو الشفاء وليس العقاب من منظور قانوني بحت.

ونبوخذنصر لم يكن قد ظهر بعد، كان يجب أن ينبت قاتل القديسين. لقد نبت الشوك كله من جذر الشيطان الشرير، كان يجب أن يظهر عداء اليهود ضد قديسي الله، اليهود الذين قتلوا الأنبياء ورجموا رُسله، وفي النهاية قتلوا زكريا بين الهيكل والمذبح. أضف أيضاً إلى القائمة، التجاديف الشريرة وقتل الأطفال بواسطة هيرودس.

إذن، فعندما نبتت كل قوة الشر من الجذر الشرير، تلك التي نبتت بطرق كثيرة في داخل أفراد كل جيل، وتقبَّح الشرُّ بلا ضابط، عندئذ، كما قال بولس لأهل أثينا: «فَإِذْ نَحْنُ ذُرِّيَّةُ اللهِ، لاَ يَنْبَغِي أَنْ نَظُنَّ أَنَّ اللاَّهُوتَ شَبِيهٌ بِذَهَبٍ أَوْ فِضَّةٍ أَوْ حَجَرٍ نَقْشِ صِنَاعَةِ وَاخْتِرَاعِ إِنْسَانٍ. فَاللهُ الآنَ يَأْمُرُ جَمِيعَ النَّاسِ فِي كُلِّ مَكَانٍ أَنْ يَتُوبُوا، مُتَغَاضِياً عَنْ أَزْمِنَةِ الْجَهْلِ» (أع ١٧: ٢٩ - ٣٠)، أتى في أواخر الأيام، عندما لم يكن هناك عاقلٌ، عندما لم يكن هناك ذاك الذي يطلب الله، عندما صارت الخطية مثل الطوفان، عندما وصل سيف الشر إلى الدرجة العظمى، عندئذٍ أشرق شمس البر على أولئك الذين كانوا يعيشون في الظلمة وظلال الموت، عندئذٍ سحق رؤوسَ كثيرةٍ للتنين ضارباً ودائساً على كل ما على الأرض من شر. ولا يظنن أحدٌ أنه يمكنه أن يكذِّب ما نقول به بالنظر إلى كل ما يحدث الآن في الحياة، فما نقوله هو إن الرب أشرق في الحياة في الأزمنة الأخيرة.

وقد يقول أحد المعارضين إن هذا الذي انتظر أزمنةً طويلةً حتى يظهر الشر، فيُطفئه في قمته، كان طبيعياً بالنسبة له أن يكون قد أخفاه من الجذر للدرجة التي لا يبقى معها أية بقية للشر في الحياة، لكن الآن، ها هم القتلة والسارقون والزناه يشرعون في فعل كل الأمور القبيحة.

ليت صاحب هذه الحجة يبدد شكَّه هذا بمثالٍ معروف. فنحن نرى -عند قتل الزواحف- أنهم لا يضربون الجسد مع الرأس، بل بينما يكون الرأس قد مات، يحتفظ الحيوان بتماسكه الداخلي في نفسه ولا يفقد حيويته. هكذا أيضاً هذا الذي قتل التنين، عندما كبر الوحش في كل أجيال البشر ضربه على الرأس، أي على قوة ابتداع الشرور التي لديها رؤوسٌ كثيرة، أمَّا بالنسبة للجسد، فلم يعطِه

أهمية كبيرة، جاعلاً حركة موت الوحش تبقى دافعاً للتمرن بالنسبة للآتين بعد ذلك[1].

١- الانتصار على الخطية ونتائجها، الفساد والموت اللذان يمثلان جذر الشر قد تحقق بقيامة الإله المتأنس؛ لذا يمثل اشتراك الإنسان في هذه النصرة اختياراً شخصياً في مسيرة الحرية.

الفصل الخامس والعشرون

مَنْ تكون تلك الرأس المسحوقة؟

إنه ذاك (الرأس) الذي -بالمشورة الشريرة- أحضر الموت، ذاك الذي وضع -بالقول- في نفس الإنسان سُمَّاً مميتاً. وهذا هو الذي حلَّ مملكة الموت، وسحق قوة رأس التنين (مز ٧٤: ١٤) كما يقول النبي.

أصبح التنين ميّتاً من جهة القوة؛ لأن رأسه كان قد فسد بالفعل، إلّا أن بقية جسد الحية الذي انتشر في الحياة البشرية طوال الوقت الذي عاش فيه البشر في أعمال الشر، كان هو الذي يصنع بأوراق الخطية اضطراباً للمعيشة. لكن عندما يمر الوقت، ويتوقف كل ما يتحرَّك عند نهاية الحياة التي ننتظرها بشوق، عندئذٍ يبطُل الذيل وتجيء نهاية العدو (هذا هو موته)[1]، وهكذا يصير فناء كل الوحش، أي الشر، عندئذٍ يُستدعى الكل إلى الحياة بالقيامة، والأبرار -مباشرةً- ينتقلون إلى الحياة السماوية، أمَّا الخطاة المذنبون، فيُسلَّمون إلى نار الجحيم.

١- يشار هنا بوضوح إلى الإنتصار على الموت الجسدي الذي هو انفصال النفس عن الجسد. الانتصار على الموت الروحي الذي هو انفصال الإنسان عن الله تحقق بسحق الخطية الشخصية ويمثل ملمحاً للقديسين وفي الحياة الحاضرة، أنظر:

Κυριλλου Αλεξανδρειας, Ερμηνειας είς τόν προφήτην Μιχαιαν, PG71, 768 BC

الفصل السادس والعشرون

إعتاد البشر أن يُسمي العذراء بـ (غير الفاسدة)

عندما أحاطت النار بالعليقة، والعليقة لم تحترق، قال موسى العظيم: "أميل الآن لأنظر هذا المنظر العظيم" (خر ٣: ٣). وبانتقاله أو ميله هناك، لم يعلِن -على ما أعتقد- عن حركةٍ في المكان، بل عن مرورٍ وانتقال الوقت. لأن ذاك الذي -كمثالٍ- أُعطيَ وقتذاك بشعلة النار والعليقة، أُعلِنَ بوضوح في سر العذراء عندما اكتمل الزمن. فمثلما كانت هناك الشجرة والنار داخلها و لم تحترق، هكذا العذراء أيضاً هنا، وَلَدَت النور وظلت عذراء. وإذا كانت العليقة تصوِّر -مسبقاً- جسد العذراء الذي وَلَدَ الله، فلا ترتبك أنت أمام هذا الرمز؛ لأن كل جسد، بسبب قبوله للخطية، ولأجل هذا، ليس فقط جسد، وإنما خطية أيضاً. والخطية تُسمَّى في الكتاب شوكاً (عليقة)[1].

١- وفق تعليم القديس كيرلس بأن كل البشر يأتون من طبيعة آدم الذي سقط في نير الخطية والتحرر من هذا النير يصير فقط «في المسيح ἐν Χριστῷ». وهذا يسري على العذراء مريم والتي بالرغم من أنها تشترك في الطبيعة البشرية وبالتالي لم تتخلص من نتائج الخطية الأولى مثلها مثل كل البشرية، استحقت أن تصعد درجات الكمال الروحي، هكذا بنعمة الروح القدس صارت قادرة أن تقبل داخلها ابن الله الوحيد الجنس وتذوق أولاً التأله المقدم بواسطته، أنظر:

Χ. Α. Σαμούλη, Ἡ θεοτόκος, σ.423 ἑξ.

الفصل السابع والعشرون

زكريا الذي قُتِل بين الهيكل والمذبح، لم يُقدَّم على أن نأخذه شاهداً على عذراوية الأم[1].

زكريا هذا كان كاهناً، وكانت لديه موهبة النبوة، وقد كُرِزَ بنبوته هذه بقوة في الإنجيل. فلكي لا يعتبر البشر أن ولادة العذراء غير قابلة للتصديق، أعدت النعمة الإلهية -مسبقاً- طريقاً، درَّب بالمعجزات، إدراك المؤمنين؛ إذ وُلِدَ طفلٌ من عاقرٍ ومتقدِّمة في السن.

هذا صار مقدمةً للسر المتعلق بالعذراء. أي، كما أن أليصابات لم تَصِر أُمّاً بقوة الطبيعة، لأنها كانت قد شاخت وظلت عاقراً طوال حياتها، بل نُسب حصولها على الطفل إلى الإرادة الإلهية، هكذا أيضاً تحول عدم تصديق آلام ولادة العذارى إلى إيمان بانتسابهم إلى العنصر الإلهي. ولأن ولادة العاقر، سبقت ولادة العذراء، ارتكض الجنين في بطن أليصابات قبل أن يرى النور حين سمع تلك التي حملت الرب، وبمجرد أن وُلِدَ السابق للكلمة، عندئذٍ -بالإلهام النبوي- انقطع صمت زكريا، عندئذٍ كان كل ما فاه به، نبوءةً عن المستقبل.

ولذلك، فهذا الذي انقاد -بالروح النبوي- إلى معرفة ما كان مستتراً؛ إذ أدرك سر ولادة العذراء دون فساد[2]، لم يدعُ الأم كلية النقاوة لأنْ تخرج من

١- واضح من كلام القديس كيرلس أنه يرد على الذين يقولون إن زكريا الكاهن لم يقدَّم على أنه شاهد على الولادة العذراوية؛ لأنه يؤكد على عكس ما قد يُفهم من عنوان المقال (المترجم).

٢- دُعيت مريم بـــ «العذراء»؛ لأنها الوحيدة التي أحضرت إلى العالم الرب وظلت بالرغم من ذلك عذراء بعد الولادة. العذراء لا يمكن أن تُرى منفصلة عن إبنها بل في تواصل تام مع شخصه وعمله. سر العذراء يصير مدركاً، من جانب القديس كيرلس، فقط تحت نور سر المسيح كل شيء له علاقة مباشرة مع شخص المسيح الذي هو المحور المركزي الذي حوله ينمو سر التدبير الإلهي بالتالي للكرامة التي تُنسب للعذراء من خلال ألقاب «والدة الإله: θεοτόκος، «الأم العذراء: παρθε-νομήτωρ»، «دائمة البتولية: ἀειπάρθενος»...الخ. تمثل نهاية طبيعة لعلاقتها مع إبنها. أنظر:

مكان الهيكل الذي كان قد عُيِّن مسبقاً للعذارى وفقاً للناموس، معلِّماً هكذا اليهود، بأن خالق الكل وملك كل الخليقة، والذي تحت سلطانه الطبيعة البشرية مع الكل، وبإرادته يقودها حيث يريد، دون أن تمتنع هي عن ذلك، يمكنه أن يخلق نوعاً من الولادة الجديدة لا تنزع عن التي صارت أماً خواص أن تكون عذراء. لذلك لم يدعُها للخروج من مكان العذارى، هذا الذي كان يقع بين الهيكل والمذبح.

ولأنهم سمعوا أن ملك الخليقة سوف يُولَد -بحسب التدبير- مثل إنسانٍ، ولأنهم ربما خافوا من أن يصيروا تحت طوع هذا الملك، قتلوا هذا الذي شهد بخصوص هذه الولادة، ذابحين الكاهن بجوار المذبح ذاته.

Κυριλλου Ἀλεξανδρειας, Λόγος κατά τῶν μή Βουλομένων ὁμολογεῖν θεοτόκον τήν ἁγίαν παρθένον, PG76, 260 BC

لماذا مَجَّدَ الملائكة الإلوهية التي رأوها في السموات، قائلين: "المجد لله في الأعالي وعلى الأرض السلام" (لو ٢: ١٤)؟

إمتلأ الملائكة من الفرح لظاهرة السلام على الأرض. فاللعنة السابقة، وخصوبتها لأنْ تخرج شوكاً وحسكاً، أرض الحرب، مكان نفي المحكوم عليهم، هذه هي التي قبلت السلام[1]. يا لها من معجزة! «الحق من الأرض ينبت» (مز ٨٥: ١٢)، إذن فقد أعطت الأرض مثل هذا الثمر. وهذا صار لأجل البشر، اتحد الله بالطبيعة البشرية، لكي يكون هناك كائنٌ واحد، العنصر البشري مع سمو الله[2].

1- Κυρίλλου Ἀλεξανδρείας, ὁμιλία 10, PG77, 1021AB.

٢- من الواضح أن التألُّه هو الهدف النهائي للتأنس، أنظر العبارة المعروفة للقديس أثناسيوس: «لأنه تأنس لكي نحن نتأله» تجسد الكلمة، ترجمة عن اليونانية د. جوزيف موريس فلتس، مراجعة د. نصحي عبد الشهيد، الطبعة السابعة ٢٠١٢، المركز الأرثوذكسي للدراسات الآبائية، (فصل ٥٤: ٣).
M. Ἀθανασίου, περί ἐνανθρωπήσεως 54, PG 25, 192B: «Αὐτός γάρ ἐνηνθρώπησεν ἵνα ἡμεῖς θεοποιηθῶμεω

(أ)

اتحاد،..... ٣٥، ٩٧

اثنين،..... ٩٥، ٩٧، ٩٨

آريوس،..... ٣٢، ٩٣

أقنوم..... ٥٣، ٦٢، ٨٩، ٩٠، ٩١، ٩٢، ٩٥، ٩٧، ٩٨

الآب ،..... ٤٣، ٤٥، ٥٤، ٥٦، ٥٧، ٥٨، ٦٠، ٦٢، ٦٣، ٦٨، ٦٩، ٧٠، ٧١، ٧٢، ٧٣، ٨٠، ٨١، ٨٢، ٨٥، ٨٩، ٩٠، ٩١، ٩٢، ٩٣، ٩٥، ٩٦، ٩٩، ١٠٠

الابن،..... ١٩، ٣٦، ٥٣، ٥٦، ٥٨، ٦٠، ٦١، ٦٢، ٦٣، ٧٠، ٧٢، ٧٣، ٨٠، ٨١، ٨٢، ٨٩، ٩٠، ٩١، ٩٢، ٩٣، ٩٤، ٩٥، ٩٦، ٩٧، ٩٨، ١٠٤

الاثنان،..... ٨٧، ١٠١

الاثنين،..... ٦١، ٨١، ٩١، ٩٢، ٩٨

الأقانيم، .....٦٢، ٦٣

الإلهية،.....١٩، ٢٠، ٣٧، ٤٤، ٤٦، ٥١، ٥٣، ٦٢، ٥٨، ٦٠، ٦٢، ٦٣، ٦٤، ٧٢، ٧٥، ٧٨، ٨٠، ٩٢، ٩٥، ٩٦، ٩٨، ١١٠

الإيمان،.....٣٤، ٣٥، ٤٥، ٤٨، ٥٥، ٦٦، ٧١، ٩١، ٩٢

البدء،..... ٥٢، ٧٢

الرب،..... ١٤، ١٥، ١٦، ١٧، ١٩، ٢٠، ٤٨، ٥٧، ٦١، ٦٢، ٦٨، ٧٥، ٨٠، ٨٥، ٨٧، ٩٠، ٩١، ٩٣، ٩٤، ٩٨، ١٠٥، ١٠٦، ١١٠

الروح القدس،..... ، ٤٥، ٥١، ٥٣، ٥٤، ٥٥، ٦٠، ٦١، ٦٢، ٦٣، ٦٥، ٦٦، ٦٧، ٦٨، ٦٩، ٧٠، ٧٣، ٧٥، ٨١، ٩٧، ١٠٩

السلام،..... ١١٢

العذراء،..... ١٣، ١٩، ٢٠، ٢١، ٨٤، ٩٧، ١٠٠، ١٠١، ١٠٩، ١١٠

الكلمة، .....١٤،٤٥، ٥٦، ٦٠، ٦٢، ٦٣، ٨٠، ٨١، ٨٢، ٨٣، ٨٤، ٩١،

فهرس لبعض الكلمات الواردة بالنص

٩٢، ٩٥، ٩٦، ٩٧، ٩٨، ٩٩، ١٠٠،
١٠١، ١٠٢، ١١٢

اللاهوت،..... ٢١، ٢٧،
٣٢، ٣٤، ٣٥، ٣٦، ٤٤، ٨٩، ٩٠،
٩٦، ٩٨، ١٠٣

المسيح،..... ١٠، ١١، ١٢، ١٣،
٣٥، ٤٤، ٤٧، ٥٣، ٥٤، ٥٥، ٥٦،
٥٧، ٥٩، ٦١، ٦٢، ٦٥، ٦٦، ٦٧،
٦٨، ٦٩، ٧٠، ٧١، ٧٢، ٧٣، ٧٤،
٧٥، ٧٦، ٧٧، ٨٠، ٨٤، ٨٥، ٨٦،
٩٠، ٩١، ٩٧، ٩٨، ٩٩، ١٠٠، ١٠١،
١٠٢، ١٠٣، ١٠٤، ١٠٩، ١١٠

الناسوت،..... ٣٥، ٨٤، ٩٧،
٩٨، ١٠٣

إيمان،..... ٥٥، ٩١، ١٠١، ١١٠

(ت)

تأنس،..... ٦٩، ٧٧، ١٠٢، ١٠٧، ١١٢

تجسد،..... ٦٠، ٧٦، ٨٣
٩٧، ٩٨، ٩٩، ١٠١، ١١٢

تدبير،..... ١٤، ١٩، ٢١، ٣٦،
٧٠، ٨١، ٨٢، ٩٠، ٩٧، ١٠٣، ١١٠،
١١١

(ج)

جسد،..... ١٦، ١٨، ٢٧، ٣٥،
٤٤، ٤٦، ٤٩، ٥٠، ٥١، ٥٤، ٥٦،
٥٨، ٦٢، ٦٥، ٧٥، ٧٧، ٨١، ٨٤،
٨٩، ٩٦، ٩٧، ٩٨، ٩٩، ١٠٠، ١٠١،
١٠٤، ١٠٦، ١٠٨

جمال،..... ٥٦، ٥٨، ٧٢، ٩٤

جوهر،..... ٢٧، ٤٣، ٥٠، ٥٣،
٥٨، ٦٢، ٦٣، ٧٣، ٨٠، ٨١، ٨٣،
٨٥، ٨٩، ٩٠، ٩١، ٩٢، ٩٣، ٩٥،
٩٦، ٩٨، ١٠٠

(ش)

شخص،..... ٣٤، ٥٦، ٥٨، ٦٣،
٧١، ٩٨، ١٠٣، ١١٠

شركاء،..... ٦٠، ٧٢، ٧٠

(ط)

طبيعة،..... ٣٥، ٤٦، ٤٩،
٥٠، ٥٣، ٥٤، ٥٦، ٥٨، ٥٩، ٦٠،
٦١، ٦٢، ٦٣، ٦٧، ٧٢، ٧٧، ٧٨،

٨٠، ٨٥، ٩٠، ٩٢، ٩٣، ٩٥، ٩٦،
٩٧، ٩٨، ١٠٠، ١٠٩، ١١٠

(ل)

لبس،..... ٥٠، ٥٦، ٦٠، ٦٥،
٨٢، ١٠٣

(ن)

نفس،..... ١٠، ٢٧، ٤٣، ٤٤، ٤٦،
٤٧، ٥٠، ٥١، ٥٢، ٥٣، ٥٤، ٥٦،
٥٧، ٦٠، ٦١، ٦٣، ٦٥، ٦٨، ٧٥،
٨٠، ٨١، ٨٤، ٩٥، ٩٧، ٩٨، ١٠١،
١٠٨

(و)

واحد،..... ١٠، ٤٥، ٤٦، ٦٠،
٦٣، ٦٦، ٦٧، ٦٨، ٦٩، ٧٠، ٧٣،
٧٦، ٨٢، ٨٨، ٨٩، ٩٠، ٩١، ٩٤،
٩٥، ٩٦، ٩٧، ٩٨، ١١٢

وحدة،..... ٣٥، ٤٥، ٥١، ٧٧،
٨٠، ٩١، ٩٨

وحيد الجنس،..... ٦٠، ٧٠، ٨١،
٩٧، ٩٨، ١٠٠، ١٠٩

(ي)

يسوع،..... ١٣، ٥٣، ٦٥، ٦٨،
٦٩، ٧٥، ٩٨، ١٠٠

أولاً العهد القديم:

سفر التكوين

تك١:١..........................٥٢

تك١:٢٦......................٣٣، ٦٣

تك١:٢٧......................٤٣، ٤٤

تك٢:٧........................٤٤، ٥٤

تك٣:١٩.......................٦٧، ٧١

تك ٤ : ٢٦........................٨٧

تك٦:٢.........................٨٨

تك٦:٣..........................٥٤

تك٦:٤.........................٨٨

تك٢٧:٢٧ــ٢٨....................٦٨

سفر الخروج

خر٣:٣.......................١٨، ١٠٩

خر١٢:٤٦........................٧٦

خر٢٥:١ــ٨........................٥٧

سفر اللاويين

لاو١٧:٣ــ٤........................٧٧

ملوك الثاني

٢مل٢٣:٦........................١٨

سفر المزامير

مز١٤:٢..........................١٥

مز١٩:٧ــ٩........................٧٥

مز٧٣:٢٤..........................٨١

مز٧٤:١٤........................١٠٨

مز٨٥:١٢........................١١٢

مز١١٨:٢٧........................٥٧

مز١٣٩:٧..........................٩١

مز١٣٩:٧ــ١٠......................٩٤

سفر نشيد الأنشاد

نش٢:١..........................٦٨

سفر أشعياء النبي

أش٩:٢..........................١٥

أش٢١:١٢........................٥٢

أش٤٠:٥..........................٨٤

أش٦٦:١..........................٤٤

سفر إرميا النبي

إر٢٣:١٦......................٩٣، ٩٤

إر٢٣:٢٣..........................٩٠

إر٢٣:٢٤......................٤٤، ٩٠

سفر حزقيال النبي

حز١٦:٥٢..........................٩٠

حز٣٧:١ــ٢........................٧٠

ثانيًا: العهد الجديد:

فهرس لبعض الشواهد الواردة بالنص

إنجيل متى

مت٦:٢٠..... ٤٤

مت٦:٢١..... ٤٤

مت٨:١٤..... ٩٨

مت٩:٢١..... ٤٤

مت١٣:٢٢..... ١٨

مت١٥:٢٤..... ٦٢

مت٢٢:٢٩..... ٦٦

مت٢٣:٢٥..... ١٤، ٢١

مت٢٣:٣٥..... ١٥

مت٢٤:١٤..... ٨٠

مت٢٨:٢٠..... ٨١

إنجيل مرقس

مر١٣:٣٢..... ٨٠

إنجيل لوقا

لو١:٣..... ١٩

لو١:٣٧..... ٧٨

لو٢:١٤..... ١١٢

لو١٤:٩..... ٦٢

لو١٨:٢٧..... ٧٨

إنجيل يوحنا

يو١:٩..... ٥٣

يو١:١٤..... ٨٤

يو١:١٦..... ٧٣

يو٤:٢٤..... ٤٤، ٦١، ٩٠

يو٥:٣٧..... ٥٧

يو٥:٣٧—٣..... ٥٧

يو٨:١٢..... ٦١

يو٨:٤٦..... ١٠٣

يو١٠:٩..... ٧٢

يو١٠:١٠..... ٧٣

يو١٠:٣٠..... ٦٩

يو١٤:٦..... ٧٢

يو١٤:٩..... ٤٣

يو١٤:١٠..... ٤٣، ٩٠، ٩٢

يو١٤:٩—١٠..... ٦٩

يو١٤:٣٠..... ٦٩، ١٠٣

يو١٦:٧..... ٩١

يو١٦:١٥..... ٦٣

يو٢٠:٢٢..... ٧٥

سفر أعمال الرسل

أع١:١١..... ٩٩

أع١:١٧..... ٨٢
أع٢:٢—٤..... ٧٦
أع١٧:٢٩—٣٠..... ١٦، ١٠٦
أع١٧:٣٠..... ١٥

الرسالة إلى أهل رومية

رو٢:١٤—١٥..... ٦٠
رو٣:٣..... ١٥
رو٥:١٤..... ٦٩
رو٥:١٨—١٩..... ٧١
رو٧:٢٢—٢٣..... ٧٤
رو٧:٢٤—٢٥..... ٧٤
رو٨:٣—٤..... ٧٥
رو٨:٩..... ٦٢
رو٩:٤..... ٦٢

الرسالة الأولى إلى أهل كورنثوس

١كو ١:٣٠..... ٨١
١كو ٢:١٠..... ٨١
١كو١٣:١٢..... ٤٩
١كو١٥:٢١..... ٦٨
١كو١٥:٢٢..... ٦٨
١كو١٥:٥٢..... ٨٥

الرسالة الثانية إلى أهل كورنثوس

٢كو٢:١٤..... ٦٨
٢كو٣:١٧..... ٦١، ٦٢
٢كو٣:١٨..... ٦٠
٢كو٤:٥—٦..... ٦٩

الرسالة إلى أهل غلاطية

غلا٣:٢٢..... ١٠٤
غلا٤:٦..... ٦٠
غلا٤:١٩..... ٣٥، ٥٥، ٦١

الرسالة إلى أفسس

أف٢:٦..... ٤٤
أف٢:١٠..... ٥٣، ٧٢
أف٤:٦..... ٤٥

الرسالة إلى أهل فيليبي

في٢:٥..... ٧٥
في٢:٨..... ٧٠
في٣:٢٠..... ٤٤

الرسالة إلى أهل كولوسي

كو١:٢٧..... ٤٣
كو٢:٣..... ٨١
كو٣:٣—٤..... ٦١

الرسالة الثانية إلى أهل تسالونيكي

٢تس٣:١١..... ٤٧

الرسالة الأولى إلى تيموثاوس

١تيمو١:١٩..... ٧١

١تيمو٦:١٣..... ٨٠

الرسالة إلى العبرانيين

عب١:٣..... ٤٣

عب١٢:٢٢—٢٣..... ٧٥

رسالة يوحنا الأولى

١يو٣:٢..... ٥٩

رسالة بطرس الأولى

١بط٢:٢٣..... ١٠٤

١بط٣:١٥—١٦..... ٧٤

رسالة بطرس الثانية

٢بط١:٤..... ٦٠

يزعم البعض -بدون فِهم- من أولئك الذين يبحثون في مفهوم خلق الإنسان بحسب صورة الله أن التشابه بين الإنسان والله، هو تشابهٌ يخص فقط الصورة الجسدية، والشكل الذي نراه، وليس شيئاً آخر. وبحسب رأيي يجب أن أجيبهم بأنهم قد ضلوا وإن عقلهم فَقَدَ الشوق والمحبة للحق. فبينما يُعَّلِم المخلص بكل وضوح أن "الله روح"، نجد أولئك ينسبون ملامح جسدية للطبيعة الإلهية، وشكلاً مماثلاً للشكل الذي لدينا. وبالتالي لا يُدرَك الله ذاته بعد كروح، بل كجسد. طالما كانت الأشكال تُصاحِب الأجساد. لكن، لأن الله هو روح، ورائع الجمال، فهو أسمى من كل هيئة ومِثال وشكل يمكن أن يُوصف.

القديس كيرلس الأسكندري

يُطلب هذا الكتاب من :

- جذور للتوزيع تليفون: ٨١٣٧ ٢٦٣٣
- georgeibrahim2257@yahoo.com

سعر النسخة

٢٥,٠٠ جنيه